

# أشهر المعارك البحرية في التاريخ القديم والحديث

على الجوهري







على الجوهرى

# أشهر المعارك البحرية فى التاريخ القديم والحديث

مكتبة القرآن



## الكتاب : أشهر المعارك البحرية

تصميم غلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

المؤلف : على الجوهري

الترقيم الدولي : 1 - 313 - 250 - 977

رقم الإيداع : ٢٠٠٣ / ١٩٠٠٦

### مكتبة القرآن

للطببع والنشر والتوزيع

١٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة

تليفون : ٣٩١٨٦٩١ - ٣٩١٧٣٣٢ فاكس : ٣٩٣٧٣٢٦

الناشر

### جميع الحقوق محفوظة للناشر

No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, without written permission of the publisher .

لا يجوز لأى شخص أو جهة طبع أو نسخ أو اقتباس أو ترجمة أى جزء من هذا الكتاب بدون إذن كتابى من الناشر



توزع منشوراتنا بالملكة العربية السعودية لدى وكيلنا الوحيد مكتبة الساعى للنشر والتوزيع

الرياض - هاتف : ٤٢٥٢٣٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦ فاكس : ٤٢٥٥٩٤٥ جلة هاتف : ٦٥٢٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس : ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع ابن سينا القاهرة ت : ٢٢٠٩٧٢٨

Web site : [www.alkoran-eg.com](http://www.alkoran-eg.com) E-mail : [info@alkoran-eg.com](mailto:info@alkoran-eg.com)

## مُتَكَلِّمًا

عرف العالم طريقه إلى الصراعات منذ أقدم العصور وأدت هذه الصراعات إلى نشوب المعارك برًا وبحرا ، ثم ظهرت المعارك الجوية بعد أن عرف الناس سلاح الطيران الحربى .

وكانت المعارك تتم باستخدام أسلحة ومعدات بدائية ثم أخذت تتطور شيئًا فشيئًا مواكبة بذلك تلك الطفرات التكنولوجية التى حدثت فى جميع المجالات .

ومن خلال الأبحاث فى أوراق التاريخ ، وجدت أن هناك مجموعة من المعارك البحرية غيرت مجرى كثير من الأمم ، فرفعت أقواما ، وحطت آخرين .. وهناك أيضا بعض المعارك البحرية التى نشبت لأسباب مضحكة ، ولكنها مع الأسف أودت بحياة كثيرين !

وقد أبرزت المعارك البحرية قدرات بعض الدول على التخطيط والمناورات العسكرية ، بالرغم من الإحباطات الظاهرية بضعفها النسبى مقارنة بدول أخرى كانت أقوى منها بكثير ولكنها خسرت وانزوت نتيجة التفوق البحرى للدول الأخرى .

وعلى صفحات هذا الكتاب قدمت عرضاً لمجموعة من المعارك ذات المواقف والأبعاد المؤثرة في تاريخ العالم، وقمت بشرح وتوضيح الأسباب والأحداث والنتائج المترتبة على كل معركة ، وذلك منذ فجر التاريخ ومعرفة الإنسان طرق تصنيع الأساطيل البحرية ، وحتى وصلت إلى معارك العصر الحديث .

لقد حاولت الدول العظمى السيطرة على البحار نظراً لخطورة هذه الأماكن في الهيمنة على مجريات الأمور عبر القارات ، وكان من نتيجة ذلك أن انتقلت السيطرة من دولة إلى أخرى وربما تعود مرة أخرى للدولة السابقة .. وهكذا ، وهو ما حاولت أن أسجله في هذا الكتاب كمتابعة مطلوبة للأحداث التاريخية .

**المؤلف**

## البر والبحر والجو



لحكمة بالغة خلق الله الأرض وجعل فيها الماء بحارا وأنهارا ، وجعل فوق الأرض السماء سحابا وأمطارا ، وجعل الإنسان خليفة الله في الأرض يعمل فيها تشييدا وإعمارا ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد شاءت إرادته أن يعبد به البشر طواعية واختيارا وليس قهرا وإجبارة.

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

(سورة البقرة : 29 - 30)

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأرض بكل ما فيها من نبات وحيوان وإنسان ويابس وماء وبكل ما فوقها من سماء . وعندما أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة هو آدم -عليه السلام- أبو البشر

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ (البقرة : 30)

وكان الملائكة كانت على دراية بما سيكون من بنى آدم من إفساد وسفك للدماء ..

بهذا جرت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - فأخبر به الملائكة ، وهو بالأحرى إخبار لنا وبيان وتوضيح إلهي إلى حقيقة مهمة وهي أن سفك الدماء بين البشر من خلال الحروب والقتال بينهم ليس أمرا مستحبا بل هو مكروه منكر بدليل أن الملائكة قد عبروا عما يفيد كراهية ذلك ونكرانه ، ولكن الله -



سبحانه وتعالى- أخبر ملائكته أو بالأحرى أخبرنا أن له -سبحانه وتعالى- في ذلك حكمة بالغة لا تعلمها الملائكة ألا وهي الحكمة الإلهية التي تتمثل في أن الله -سبحانه وتعالى- قد شاعت إرادته أن يكون من البشر من يتجه إلى الإيمان بالله والصلاح وعدم سفك الدماء بغير حق ، ومنهم من يتجه إلى الكفر بالله والإفساد في الأرض وسفك الدماء بغير حق بناء على اختيار البشر دون أن يجبرهم الله على الإيمان والصلاح ، فمن شاء من البشر فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ لأن الله ، كما سبق أن أشرنا ، قد شاعت إرادته واقتضت حكمته أن يُعَبِّد طواعية واختيارا وليس قهرا وإجبارة . وأئني للملائكة أن يدركوا هذه الحكمة الإلهية البالغة !

ولنتأمل تعبير الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها تأملا جيدا ، فليس الإفساد في الأرض إفسادا تاما وإلا استحالت حياة بني آدم في الأرض لو اكتمل فسادها ، وليس سفك الدماء سفكا لكل الدماء وإلا هلك البشر ، ولكن المعنى المعقول هو وجود إفساد في الأرض وإصلاح فيها ، وسفك للدماء أحيانا وحفظ للدماء أحيانا أخرى حتى تستمر حياة البشر في الأرض ما شاء الله لها أن تستمر .

وفي الآيتين الكريمتين 29 ، 30 من سورة البقرة إشارة إلى الكون الذي خلقه الله لبني آدم وخلق بني آدم فيه . ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: 29) وتعبير " ما في الأرض جميعا " يشير إلى أن في الأرض أشياء كثيرة صلبة وسائلة، معادن وغازات ، ونبات وحيوانات ، وفوق الأرض سماوات يتصاعد إليها بخار الماء ليتكثف وينزل من السماء مطرا وماء عذبا هو مصدر المياه العذبة في الأنهار التي تكفل للإنسان والنبات والحيوان إمكانية الحياة كما قدّر الله الحياة للإنسان والحيوان والنبات . ويحوى الغلاف الجوي الهواء اللازم للتنفس الضروري لحياة النبات والحيوان والإنسان . وهكذا خلق الله لبني آدم في الأرض وفي السماء ما يكفل استمرار الحياة لهم ليؤمن من يشاء ويتبع الصراط المستقيم ولا يفسد في الأرض بل يعمل على إعمارها ، أو ليكفر من يشاء ويحيد عن الصراط المستقيم ويفسد في الأرض ويسفك بعض بني آدم دماء بعضهم الآخر أحيانا في قتال وحروب فردية أو جماعية.





الملاحة البحرية والتجارية باستخدام القوارب ذات المجاديف وباستخدام بعض الأسلحة التي سبق استخدامها في المعارك البرية مثل السيف أو الرمح أو الأسهم عندما كان قارب يلتصق بقارب أو مجموعة من القوارب مع مجموعة أخرى من القوارب . وكانت القوارب في البداية لها مجداف واحد أو مجدافان ثم تعددت المجاديف للقارب الواحد وازداد حجمه لتزداد سرعته ويزداد عدد البحارة فوق متن كل قارب.

وإذا كانت الحضارة المصرية القديمة قد نشأت في وادي النيل والحضارة البابلية القديمة قد نشأت حول نهر دجلة ونهر الفرات ، فلقد كان يغلب على المعارك الحربية طابع المعارك البرية . أما حضارة قدامى اليونان فقد نشأت في أثينا وإسبرطة وجزر البحر المتوسط فكان يغلب على حروبها الطابع البحري في التاريخ القديم. ولقد كانت الأطماع الدنيوية هي سبب الصراعات والحروب بين ممالك ودول التاريخ القديم في عصور ما قبل الميلاد وكانت بالغة الضراوة والقسوة من أجل رغبة الملوك في توسيع رقعة دولهم واستعباد الشعوب في الدول الأخرى ما دام ميزان القوى بين الدول يسمح بذلك. حتى بنو إسرائيل مارسوا الحرب ضد جيرانهم لأسباب دنيوية محضة بكل ضراوة وبكل وحشية حتى سلب الله عليهم البابليين بقيادة نبوخذ نصر تارة والرومان بقيادة طيطس تارة أخرى . وفي عهد المسيح -عليه السلام- كان يحكم فلسطين حاكم روماني هو بيلاطس كما هو معروف للكافة.

ولم تظهر الحرب لأسباب عادلة مشروعة إلا بعد ظهور الإسلام بمولد سيدنا محمد ﷺ عام 571 بعد الميلاد وكانت بعثته برسالة الإسلام في عام 611م، ولم يأذن الله له ولا للمسلمين بالقتال دفاعاً عن وجود دولة الإسلام الوليدة ودفاعاً عن دين الله إلا بعد الهجرة أو بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة المحمدية ، وكانت معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون على الكفار المشركين في العام الثاني للهجرة أي في عام 624 م . وكان من الضروري نشر الإسلام في كل شبه الجزيرة العربية وما حولها فيما يعرف الآن بالعالم الإسلامي نزولاً على مقتضيات الوحدة الاستراتيجية لأرض العالم العربي الذي أصبح عالماً يسوده الدين الإسلامي ، الذي أصبح هو الدين الغالب على شعوب أقطار العالم العربي من الخليج العربي ، إلى المحيط الأطلسي.







وكانت حروب العرب والمسلمين يغلب عليها الطابع البري حتى فتح المسلمون الشام وفلسطين ومصر ، ووجد معاوية بن أبي سفيان أن الروم يهاجمون فلسطين وبلاد الشام عن طريق البحر مستخدمين في ذلك السفن ويحاولون النزول إلى سواحل فلسطين والشام.

ولقد رفض عمر بن الخطاب أن يأذن لمعاوية بن أبي سفيان في بناء سفن والنزول إلى البحر للقضاء على مصدر إغارة الروم على غرب ولايته. ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة أذن لمعاوية ببناء أسطول ومطاردة الروم في البحر المتوسط لو هاجموا فلسطين أو الشام بشرط ألا يجبر أحدا من المسلمين على ركوب البحر ؛ لأن الاعتقاد السائد آنذاك هو أن البحر من أسباب هلاك الناس.

واجتهد معاوية في خلافة عثمان بن عفان في بناء أسطول كان معظم بحارته من مسلمي اليمن بقيادة عبد الله بن قيس الحارثي فكان أول أمراء البحر المسلمين . وقد فتح معاوية بهذا الأسطول جزيرة قبرص وجزيرة رودس في البحر المتوسط وأخضع لرمينية الصغرى لنفوذ المسلمين ووصلت فتوح المسلمين البحرية إلى كيكيا.

وحاول الروم أيضا غزو مصر عن طريق البحر المتوسط في عهد الملك قسطنطين ملك الروم فتصدى له والي مصر عبد الله بن أبي سرح بأسطول مصري قوي وهزم أسطول الروم في معركة ذات الصواري في سنة 34هـ (655 م). وتمكن عبد الله بن أبي سرح من غزو بلاد النوبة حتى وصل إلى دنقلة بواسطة السفن الحربية التي اتخذت النيل طريقا لها نحو السودان فسي عام 31 هـ (652 م).

## من الأقوى : البحر أم البر ؟



ترى ما الذي جعل كليوباترا وأنطونيوس ينتحran بعد أن خسرا معركة أكتيوم البحرية سنة 31 ق .م ؟ لقد خسرا معركة في البحر المتوسط ، والسؤال هو : لماذا لم يقوموا بتنظيم الدفاع البري عن مصر لصد الرومان عن دخولها أو استدراجهم داخل الأراضي المصرية ثم القضاء عليهم ؟

وإجابة هذا السؤال لا تحتاج إلى أعمال للفكر إعمالا طويلا. الإجابة البديهية لهذا السؤال هي أن أنطونيوس وكليوباترا لم تكن لديهما قوات برية تكفي لصد الجيش الروماني الذي كان سيتدفق عليهما برا من الشام وفلسطين وبحرا عن طريق بحارة أسطول أوكتافيوس.

هكذا إذن يتأرجح بندول التفوق والنصر بين استراتيجية تعتمد على البر والقوات البرية واستراتيجية تعتمد على البحر والقوات البحرية.

وعندما تتصارع دولتان بحرا وبرا فمن الجائز أن تنتصر إحداهما وتتهزم الأخرى في معركة بحرية . وإذا كان لدى الدولة المنهزمة بحريا أو الدولة التي لا تملك قوات بحرية على الإطلاق قوات برية تكفي لدحر المهاجمين عن طريق البحر فإن هذه الدولة تستطيع التغلب على الغزو البحري.

العبارة إذن هي الاستيلاء على أرض الدولة المحاربة والقضاء على قواتها المسلحة ، والقضاء على كل أسباب قدرتها على مقاومة الغزو سواء كان هذا الغزو قادما عن طريق البر أو عن طريق البحر . وما دامت الدولة التي تتعرض للغزو ولا تملك أسطولا بحريا يمكنها من دحر وتدمير الأسطول الغازي أو إجباره على الفرار والابتعاد عن سواحلها ، وما دامت لا تملك قوات برية تستطيع أن تهزم القوات الغازية فإن هذه الدولة ستقع حتما تحت احتلال وسيطرة الدولة الغازية.

ولما كان البشر يعيشون فوق اليابسة ويقيمون عليها منازلهم وقراهم ومدنهم الصغيرة أو الكبيرة ، فإننا نجد أن البحر إنما هو طريق للاقترب ، مجرد طريق للاقترب من الدولة المستهدفة للغزو . وتحتل الأساطيل البحرية أقطار ذات حدود على اليابسة ولا تحتل مساحات من مياه البحر بطبيعة الحال . والمناطق البرية على اليابسة من الكرة الأرضية هي المستهدفة دائما من الغزو ، ولكن أهمية البحر ترجع إلى أنه الطريق إلى الغزو خصوصا أن البحار والمحيطات تحيط بكل قارات العالم ، ومن يمتلك قوات بحرية مهيمنة غالبية يمتلك غالبا الطريق إلى غزو القطر الذي يرغب في غزوه .



جزيرة الروضة حيث توجد دار صناعة السفن البحرية

ولقد كانت الولايات الإسلامية في القرون الأولى تمتلك قوات برية شديدة البأس ، وعلى الرغم من عدم امتلاك العرب في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مثلا لأي قوات بحرية إلا أن الروم الذين انتزع منهم العرب بلادا في غاية الأهمية مثل الشام وفلسطين ومصر ، وهي ولايات مطلّة على البحر المتوسط فإننا نجد أن الروم مع أن لهم تاريخا حافلا بالنسبة إلى الحروب البحرية لم يقدموا على محاولة استرداد الشام أو فلسطين أو مصر من أيدي



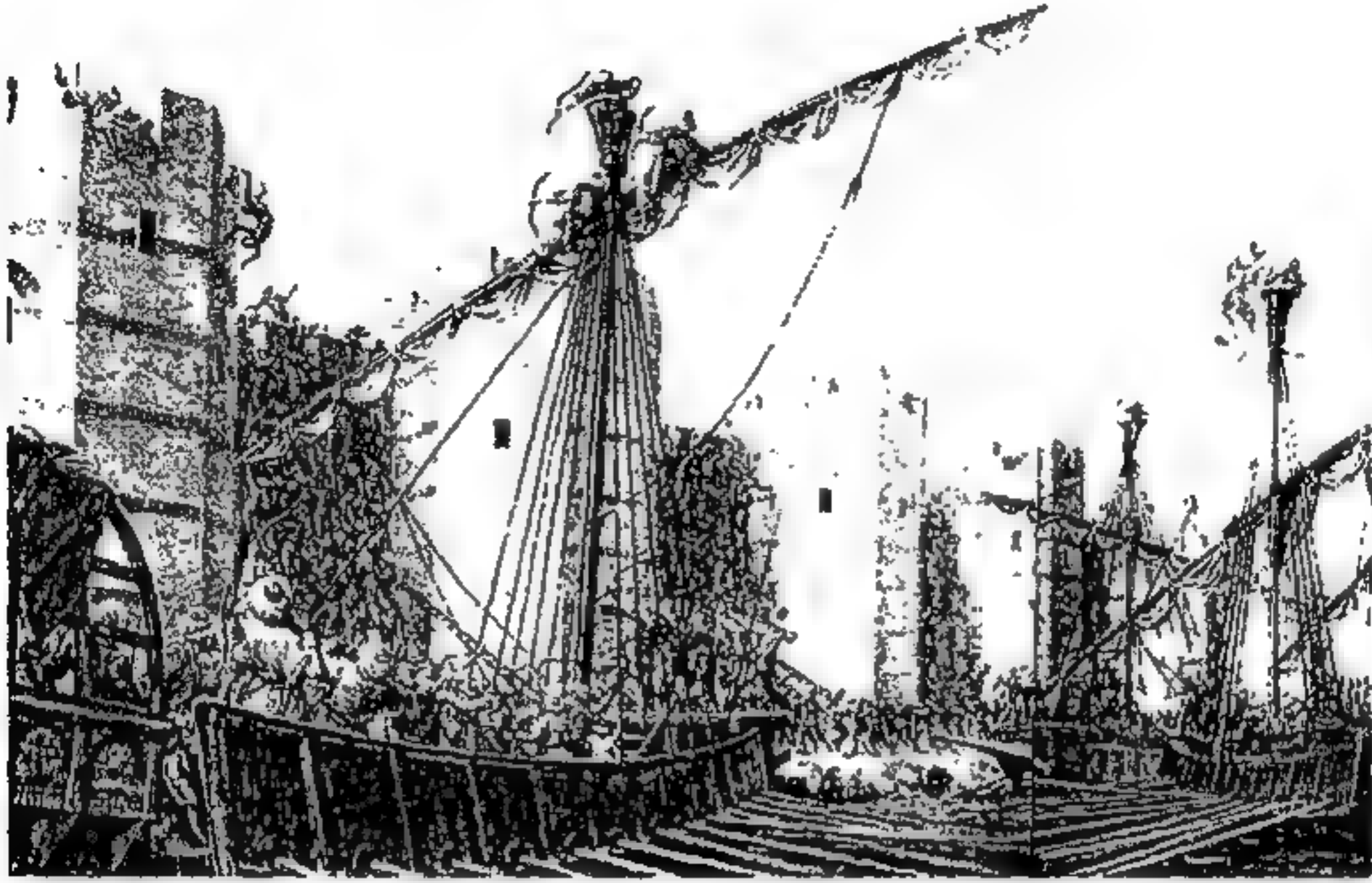
المسلمين بالقوة بالاعتماد على أسطولهم البحري الذي كان له تاريخ بحري عريق . والسبب في ذلك هو أن قوات جيوش المسلمين البرية في الشام وفلسطين ومصر كانت قوية تستطيع التغلب على أي قوات يأتي بها أي أسطول للروم إلى الشام أو فلسطين أو مصر ، وجميع المحاولات التي بذلها الروم في هذا الصدد باءت كلها بالفشل التام كما يشهد بذلك التاريخ دون أي جدال .

وعندما تعرض العالم الإسلامي للانحلال والضعف والانقسام في العصر العباسي الثاني، ولم يعد يحكمه خليفة واحد من مركز خلافة واحد ، ويتم تمويله من بيت إسلامي واحد ، اجتراً الصليبيون بدءاً من عام 1095م حتى عام 1300م على مهاجمة الأقطار الإسلامية فيما يعرف بالحروب الصليبية، وكان الغزو الصليبي للأقطار الإسلامية يأتي إليها في الغالب الأعم عن طريق البحر المتوسط ، ولكن توازن القوى بين الدول الصليبية والدولة الإسلامية لم يكن يعتريه أي خلل لصالح أي من الطرفين.

كان الصليبيون يأتون عن طريق البحر في سفن ، هي سفن نقل للجيش، وهي أبعد ما تكون عن السفن الحربية بالمعنى المألوف لدينا في العصر الحديث . وكان الصليبيون يحاربون المسلمين مستخدمين نفس نوعية الأسلحة التي كان يستخدمها المسلمون : الخيول والسيوف والرماح والسهام في الغالب الأعم . وكانت الحروب الصليبية سجالات بين المسلمين والصليبيين إلى أن انهزم الصليبيون في النهاية وتوقفوا عن الاستمرار في حروبهم الصليبية بعد معركة "حطين" وبعد انتصارات سجلها عليهم الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون وابنه السلطان الناصر قلاوون الذي حاصر الصليبيين في عكا سنة 689 هـ — (1290م) ، وأكمل الحصار وفتح عكا ابنه الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وطارد الصليبيين حتى ارتدوا إلى حدود الدولة الرومانية الشرقية ، كما كان شأنهم قبل بدء الحروب الصليبية.

ولما سيطرت الدولة العثمانية على الأقطار الإسلامية في الشام وفلسطين ومصر والحجاز والعراق ودول شمال إفريقيا أخذت الدولة العثمانية على عاتقها مسئولية الدفاع عن ولايات العالم الإسلامي ضد غزو الدول الأوروبية . ووفرت

الدولة العثمانية في سنوات قوتها وازدهارها الحماية الفعالة لكل الولايات العثمانية في العالم الإسلامي ، وكان السلطان العثماني يعتبر خليفة المسلمين وحامي الديار الإسلامية في تركيا والبلاد الإسلامية كافة.



ولكن الإمبراطورية العثمانية كانت إمبراطورية تعتمد أساسا على القوات البرية وليس على القوات البحرية . ولم يفتح السلطان سليم الأول مصر بواسطة أسطول بحري يحمل قواته عبر البحر المتوسط ولكنه فتح مصر بواسطة جيش بري عن طريق الشام وفلسطين ودخل مصر . ولم تتوغل الجيوش التركية في جنوب شرق أوروبا حتى وصلت إلى فيينا عاصمة النمسا وإلى اليونان والبوسنة والهرسك وألبانيا على البحر الأدرياتيكي عن طريق البحر المتوسط بل بواسطة جيوش برية . وعندما بقيت الدولة العثمانية قوية لم تستطع الدول الأوروبية النيل من أي ولاية عثمانية عن طريق البحر أو عن طريق البر . وعندما ضعفت الدولة العثمانية هاجمتها الدول الأوروبية برا وبحرا.

لكن الظاهرة الفريدة العجيبة التي تبرز تفوق وتغلب استراتيجية البحر على استراتيجية البر إنما تتمثل في تاريخ البحرية الإنجليزية في العصر الحديث.

لقد تمكنت القوة البحرية البريطانية من التصدي لأسطول الأرمادا الإسباني والتغلب عليه وتدمير كثير من سفنه واضطراره إلى الفرار شمالاً والعودة ببقايا سفنه المعطوبة إلى إسبانيا، وفشلت بذلك إسبانيا في أن تغزو أرض الجزر البريطانية أولاً ، وفشلت ثانياً في القضاء على سيادة الأسطول البريطاني في القنال الإنجليزي وبحر الشمال والمحيط الأطلسي والبحر المتوسط وفي المحيط الهندي وجنوبي المحيط الهادي . وتمكنت بريطانيا من السيطرة على التجارة العالمية في معظم موانئ العالم واستطاعت المحافظة على ثرائها ومصادر ثروة تجارها وبدأت في السيطرة على مستعمرات ما وراء البحار دون منازع من الدول الأوروبية.

وفشلت هولندا كما فشلت إسبانيا في القضاء على الأسطول البريطاني ، والقضاء على سيطرة بريطانيا البحرية ، كما فشل التحالف بين الأسطول الإسباني والأسطول الهولندي في تحقيق هذا الهدف.

ولم يستطع نابليون أن يفكر مجرد تفكير ولا أن يشرع مجرد شروع في غزو بريطانيا على رأس جيش فرنسي خوفاً من بطش الأسطول البريطاني وقضائه على الحملة وهي ما تزال في عرض البحر ، واقترح على حكومة الإدارة الفرنسية إضعاف بريطانيا بقطع طريق مواصلاتها البحرية إلى الهند وجنوب شرق آسيا وبلاد الصين باحتلال مصر وشمال إفريقيا.

وفي عام 1798 شرع نابليون بونابرت في غزو مصر بحملة فرنسية بالغة الضخامة يحملها أسطول فرنسي قوي ، إنه أسطول فرنسي يقوى على نقل حملة فرنسية كبيرة إلى الأراضي المصرية ، ولكنه لا يستطيع هزيمة الأسطول البريطاني الذي دمر الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية وفرض





وفي الحرب العالمية الأولى كما في الحرب العالمية الثانية كانت البحرية البريطانية هي الدرع الذي يحمي بريطانيا من الهزيمة.

ويلاحظ أن افتقار الدولة العثمانية إلى قوة بحرية تضارع قواتها البرية قد أفضى في النهاية إلى ضعف واضمحلال الإمبراطورية العثمانية ، وأفضى إلى وقوع الولايات العثمانية في براثن الإنجليز والفرنسيين الذين غزوا هذه الولايات عن طريق البحر في الغالب الأعم كما حدث أثناء الاحتلال البريطاني لمصر أو الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ولما حاولت الدولة العثمانية بناء أسطول بحري قوي عمدت الدول الأوروبية إلى التحالف للقضاء على هذا الأسطول في معركة "ليبانو" سنة 1571م.

ولما حاولت الدولة العثمانية تجميع أسطول محمد علي بالإضافة إلى أسطولها لنقل الإمدادات إلى الجيش التركي والمصري أثناء حرب المورة ، عمدت الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا تدمير الأسطول التركي المصري المشترك في معركة نفارين سنة 1827م.

ولقد أفضى انتصار اليابان على الأسطول الروسي في معركة تسوشيما سنة 1905م إلى أن ابتلعت روسيا أطماعها في ميناء بورت آرثر مع شدة حاجتها إلى ميناء بطل على المحيط الهادي لا تتجمد فيه المياه شتاء كما ابتلعت روسيا كافة أطماعها في الصين وكوريا ومنشوريا وجنوب شرق آسيا ، بل كانت هزيمة الأسطول الروسي أمام الأسطول الياباني في معركة تسوشيما سنة 1905م هي السبب الرئيسي في اهتزاز هيبة الحكومة القيصرية في روسيا فبدأت سيطرتها تضعف داخل روسيا ذاتها مما فتح الطريق لنجاح الثورة البلشفية الشيوعية سنة 1917م في روسيا.

للبحر إذن تأثير كبير في الحروب على مدار التاريخ ، ولكن البحر كالصحراء يعتبر طريقا للغزو وليس هدفا للغزو ، ولا تسعى دولة ما إلى

احتلال أراض صحراوية خالية من البشر والمدن والقرى والمصانع والمتاجر  
والمواد الخام ذات القيمة ، وإنما تعبر الجيوش هذه الأراضي الصحراوية  
لضرورات الدفاع أو الهجوم ، وكذلك مياه البحر ليست هدفا للأعمال العسكرية  
بعد ذاتها بل هي طرق سهلة للتقدم نحو المناطق المستهدفة من الغزو. والقوة  
العسكرية لأي دولة إنما هي صمام أمانها في البر كما في البحر دون أي شك.  
لم تقتصر المعارك بين بني آدم على البر والبحر فقط بل غدت المعارك في  
الجو من أكثر المعارك عنفا وحسما في الحرب.



## موقعة أكتيوم ( 31 ق.م )



الحديث عن موقعة أكتيوم البحرية يعود بالذاكرة إلى الإسكندر الأكبر ، وماذا تم بعد موته ..

حين توفي الإسكندر الأكبر فجأة بالمalaria عام 323 ق.م ، كان الفراغ الذي تركه أكبر من أن يملأه واحد من قواده .. كذلك كانت الإمبراطورية التي فتحها وأسسها بشكل سريع أوسع من أن يحكمها شخص واحد !!

كما أن مشاريعه كانت أكبر من طموح أى قائد من قواده ، لهذا كان لابد من حدوث تنازع بين القواد على حكم الإمبراطورية ..

ابنه الطفل ، الذى ولد بعد وفاته ، لم يكن له من قيمة أمام أطماع خلفائه الذين استمرت حروبهم نحو أربعين سنة ، ظهر خلالها جيل جديد من القواد ، وكان بعضهم من أبناء قادة الإسكندر .. كما ظهرت التمردات الإقليمية .. ومات حلم القواد الأوائل فى الإبقاء على وحدة الإمبراطورية الأولى التى انقسمت فى نهاية الفوضى والقتال ثلاثة أقسام : المملكة المقدونية .. والمملكة السلوقية .. والمملكة البطلمية.

كانت مصر من نصيب البطالمة ، تحت قيادة القائد بطليموس ، أحد حرس الإسكندر الخاص السبعة .. كان من الذكاء العملى بحيث اكتفى فى التسوية التى أعقبت وفاة الإسكندر بأن يظفر لنفسه بولاية مصر ، وبأن ينقل رفات الإسكندر إليها ..

توالى على عرش البطالمة مجموعة من الملوك تسمى كل منهم باسم "بطليموس" من الأول وحتى الخامس عشر .. غير أنهم كانوا أحيانا يحكمون بالاشتراك مع زوجاتهم أو إخوانهم أو أبنائهم .. من هؤلاء المشتركين سبع من الملكات تحمل كل منهن اسم "كليوباترا".

امتدت إمبراطورية البطالمة إلى برقة ، وقبرص ، وجنوب سوريا ، وجزء من ساحلها .. كما كان من ممتلكاتها أيضا بعض المدن الإغريقية ، وبعض سواحل آسيا الصغرى ، وبعض جزر بحر إيجه ، بالإضافة إلى أراضى مصر حتى النوبة وكانت الإسكندرية هى العاصمة.

أما اسم "كليوباترا" فقد ظل مشهوراً فترات طويلة من التاريخ .. وتسمى بهذا الاسم- كما ذكرنا- سبع ملكات.. أشهرهن على الإطلاق هي الأخيرة ، السابعة ، ابنة بطليموس الحادى عشر .. ولدت عام 69 ق.م ، وتولت الحكم فى عام 51 ق .م مع أخيها وزوجها فى نفس الوقت بطليموس الثانى عشر ، وهو أصغر منها ، وما لبث حرسها أن أقصاه .. كان زواج الأقارب مقبولا لدى البطالمة .. كانت كليوباترا ذات ثقافة واسعة ، وإرادة قوية ، وطموح .. حاولت معه حكم الإمبراطورية الرومانية نفسها من خلال يوليوس قيصر ثم أنطونيوس اللذين أوقعتهما فى شباكها .. ويذكر التاريخ أنها كانت الوحيدة ، بعد الإسكندر المقدونى ، التى كانت تحلم بوحدة الجنس البشرى ، ولكن تحت حكمها .. ويذكر التاريخ أيضاً أن روما لم تخن فى تاريخها إلا عدداً محدوداً من الأعداء ، منهم: هانيبال ، وزنوبيا ، وكليوباترا .. حاولت هذه الملكة الحفاظ على استقلال مصر، وضمان العرش لأبنائها بكل وسيلة .. استغلت افتتاح يوليوس قيصر ثم أنطونيوس بها .. لكن قوة روما وأطماعها كانت أقوى منها بعد أن سقط البحر الأبيض المتوسط كله بيدها .. فانهزمت فى معركة أكتيوم سنة 31 ق .م .. وانتحرت بينما كانت مصر تتحول إلى ولاية رومانية .. فكيف كان ذلك ؟

ظل العالم الرومانى رديحاً من الزمن مقسماً بين : أوكتافىوس ، وأنطونيوس ، وشخص ثالث هو ليبيدوس .. فاختص أوكتافىوس بالغرب الأصلب عوداً ، ثم ثبت فيه سلطانه ، وكان لأنطونيوس ، ومعه كليوباترا ، والشرق الأكثر بذخاً وجمالاً .. وكان نصيب ليبيدوس تلك العظمة النخرة التى أصبحت حطاماً بالية ، وهى إفريقيا القرطاجية.

تألق نجم أوكتافىوس ، وريث يوليوس قيصر ، .. ومما يجدر ذكره هنا ارتباط مصير الشخصيات الكبرى بمصير كليوباترا .. فقد جعلت شغلها الشاغل بعد مقتل قيصر أن تتسلط على مشاعر أنطونيوس وغروره ، وهو رجل أحدث سنا من قيصر بكثير .. استسلم أنطونيوس فى ظلال كليوباترا للهوى ولحلم من المجد الحسى .. مما أثار طمع أوكتافىوس ورغبته فى القضاء على أنطونيوس وكليوباترا ..

عمل أوكتافىوس على خلع أنطونيوس من إمرة الشرق ثم مضى يهاجمه، ودارت بينهما رحى معركة أكتيوم الشهيرة (31 ق.م) .. التقى فى هذه

المعركة أسطول أوكتافيوس في مواجهة أسطول أنطونيوس ، وقد انضم إليه بطالمة مصر بقيادة كليوباترا ..

كان العامل الفاصل في هذه المعركة هو تخلي كليوباترا عن حليفها أنطونيوس وفرارها في ستين سفينة حين حمى الوطيس ..

يقول بعض المؤرخين : ومن المحال تمامًا أن نفصل أسباب هذا التخلي ، هل كان عن خيانة مدبرة من قبل ؟ أو نتيجة نزوة فجائية أطاحت برأس امرأة فتانة ؟!

أدى رحيل كليوباترا بهذا العدد الهائل من السفن إلى وقوع أنطونيوس ورجاله في حرج بالغ وارتباك شديد ، قطعت عليه كل أسباب الرجاء والنجاة.. وتفاقم الخطب على الجنود عندما قرر هذا العاشق الولهان الهرب في إثر كليوباترا .. إذ انطلق خلفها في سفينة سريعة دون أن يخبر قواده .. وبذلك ترك جنوده وقواده يقاتلون ويموتون حسبما تراءى لهم .. لقد ظلوا فترة طويلة يبحثون عنه لا يصدقون أن قائدهم قد ولى !!

أطبقت شباك أوكتافيوس على مهل حول منافسه ، وليس مستبعداً أنه كان هناك نوع من التفاهم بين كليوباترا وأوكتافيوس !!

ومرة أخرى يحاصر أوكتافيوس كليوباترا وأنطونيوس في الإسكندرية .. وألقى بعضهم في روع أنطونيوس أن كليوباترا قد انتحرت .. فطعن نفسه طعنة غير قاتلة .. جعلته يقضى نحبه على مهل ، ثم حمل إليها ليألفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها (30 ق.م) ..

أما كليوباترا ، فقد ذكر بعض المؤرخين أنها ماتت بعد أن لدغتها أفعى سامة دون أن يشعر بها أحد من الحراس !!

وهكذا انتهت حياة كل من كليوباترا وأنطونيوس ، بعد هزيمتهما في موقعة أكتيوم ، وتبع ذلك استيلاء الجيوش الرومانية على مصر والشام .. وتحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة رومانية يمرح فيها الأسطول الروماني ..



## العرب ومعاركهم البحرية



على الرغم من نجاح العرب والمسلمين في فتوحاتهم البرية ، إلا أن البحر كان يشكل أمامهم عقبة كبيرة .. كان لا بد من التغلب عليها حفاظاً على دولتهم واستمراراً لتوسعاتهم ونشر رسالتهم ..

لم يكن عليهم من السهولة فتح قيسارية ، نظراً لأنها كانت تتلقى الإمدادات من البحر .. وكذا الحال بالنسبة لطرابلس ، إذ استلزم فتحها حصاراً من البحر والبر في نفس الوقت ، وكانت طرابلس تتلقى الإمدادات البيزنطية عن طريق البحر ..

لقد رأى العرب المسلمون ضرورة بناء أسطول بحري قوى يحافظ على دولتهم من كيد الأعداء الذين يحيطون بهم من كل مكان .. وتبنى هذه الفكرة معاوية بن أبي سفيان وكان وقتها والياً على الشام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

كان معاوية رجلاً سياسياً من الطراز الأول ، بعيد النظر ، ثاقب الفكرة ، يعي الأحداث جيداً ، يقرأ التاريخ ويستخلص العبر والنتائج .. لقد رأى تجربة الفرس مع البيزنطيين .. إذ استطاع الفرس الاستيلاء على الشام ومصر عام 614م، أي قبل الفتح العربي لهذين البلدين بنحو عشرين سنة .. وبذلك حقق الفرس أعظم أمانيهم ووصلوا بحدود دولتهم إلى البحر الأبيض المتوسط .. إلا أنه فاتهم أن يؤسسوا أسطولاً بحرياً قادراً على حماية هذه الدولة .. وهذا ما فطن إليه هرقل بعد أن اعتلى عرش الدولة البيزنطية ، فأعد حملة بحرية تمكن بها من استرداد مصر والشام من الفرس ..

وعى معاوية بن أبي سفيان هذا جيداً ، وسعى لتحقيق هدفه في إنشاء أسطول بحري لدى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. فاستأنذه في غزو قبرص ، وكتب إليه قائلاً : يا أمير المؤمنين ، إن الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص !!

علم معاوية حجم الخطر الذى يمثله تواجد الروم فى قبرص القريبة من حدود الدولة الإسلامية .. وبالطبع فإن غزو قبرص يحتاج إلى أسطول بحرى، وهذا ما كان يهدف إليه معاوية فى حالة إذن الخليفة وموافقته على غزو قبرص ..

إلا أن عمر لم يوافق على غزو قبرص وركوب البحر .. كان يعلم أن العرب لقلة خبراتهم البحرية لا يمكنهم مواجهة الروم فى ذلك الوقت .. وأن فى ركوب البحر هلاكاً للمسلمين .. وقال قولته المشهورة : تالله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم !!

وبعد وفاة عمر رضى الله عنه تمكن معاوية من إقناع الخليفة الثالث عثمان بن عفان بضرورة غزو البحر وتأمين حدود الدولة الإسلامية .. وقد تم له ما أراد ، وأصبح امتلاك العرب والمسلمين لأسطول بحرى لم يكن لهم عهد بمثله من قبل ، من أكبر صفحات الاستجابة للتحدى الذى فرضته أوروبا ..

وقد كان للتعاون الذى تم بين معاوية بن أبى سفيان والى الشام وعبد الله بن أبى سرح والى مصر خلفاً لعمر بن العاص ، أقوى الأثر فى إرهاب البيزنطيين ، والتفكير جدياً فى غزو البحر .. وكانت قبرص أول ما فكر معاوية فى غزوه .. كانت قبرص بحكم موقعها الجغرافى ، أشبه بمسدس مصوبة فوهته تجاه الشام .. وإلى جانب ذلك كانت الجزيرة تتحكم فى مياه القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط .. إذ كان يمكن للمرء أن يرى بالعين المجردة أسيا الصغرى والشام .. ولعل هذا ما عناه معاوية حين قال مستثيراً للخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : إن الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم ، وصياح ديوكهم !!

وفوق هذا وذاك فقد كانت قبرص محطة التموين البحرى للأسطول البيزنطى ، وهى الملاذ الذى يلجأ إليه الروم وقت الانسحاب .. لذلك كان لابد من غزوها لحرمان البيزنطيين منها وبالتالي إضعافهم !!

استعد معاوية لغزو قبرص ، واصطحب معه عدداً كبيراً من الصحابة ، بعد ما اشترط عليه الخليفة عثمان بن عفان ألا يجبر أحداً على ركوب البحر .. واشترط عليه أيضاً أن يصطحب معه زوجته .. وهذا ما تم بالفعل .. وكان من بين الصحابة الذين أبحروا معه عبادة بن الصامت والذى اصطحب معه زوجته أم حرام بنت ملحان ..

قامت الحملة بقيادة معاوية من الشام والتقت بحملة السفن المصرية بقيادة عبد الله بن أبي سرح .. وتولى القيادة معاوية .. وصلت السفن العربية إلى قبرص ونزلت الحملة على شواطئها ، وفرضت الحصار على الجزيرة حتى طلب حاكمها الصلح على أن يقفوا موقفا محايدا في الحرب بين العرب والروم .

لقد كانت هذه الحملة أول مغامرة بحرية من جانب العرب إلا أنها كانت بالغة الأهمية بالنسبة لهم ، فقد كسرت عندهم حاجز الخوف من ركوب البحار ، وبعدها تملكتهم الجرأة فصالوا في البحار وجالوا ..

وفي العام التالي لهذه الحملة على قبرص قام الأسطول العربي بفتح جزيرة "أرواد" الواقعة بالقرب من ساحل الشام .. وهي أقرب إلى الشام من قبرص ..

### إلى قبرص مرة أخرى !!

لم يف أهل قبرص بعهدهم مع معاوية بن أبي سفيان ، بل وقفوا بجانب الروم ضد المسلمين لذا رأى معاوية معاودة غزوها . هذا ما تم بالفعل عام 33هـ - 653 م ، بعدها خضعت الجزيرة للسيادة العربية ، وأصبحت قاعدة استراتيجية للأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط.

### فتح رودس :

رودس جزيرة ذات موقع متميز بالقرب من آسيا الصغرى على الحدود ما بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية .. لذا فكر معاوية بن أبي سفيان في فتحها تأميناً للدولة الإسلامية ، فبعد أشهر قليلة من فتح قبرص أرسل معاوية أسطولاً بحرياً بقيادة جنادة بن أبي أمية إلى رودس ، الذي تمكن من فتحها . وكان ذلك دعماً للأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط بقدر ما هو ضربة قاصمة للأسطول البيزنطي ..

شعر البيزنطيون "الروم" بخطورة موقفهم أمام الأسطول العربي ، خاصة بعد فتح العرب لكل من قبرص وروودس .. فأعدوا عدتهم ، وجهزوا أسطولاً ضخماً لملاقاة الأسطول العربي ، وكانت موقعة ذات الصواري.



## معركة ذات الصواري (655م)



لعلها أهم المعارك في تاريخ البحرية الإسلامية .. بل وأولها أيضا ..  
إذ أنها حققت السيادة للمسلمين على البحر الأبيض المتوسط ، وتخليصه  
من سيادة الروم .. إذ كان اسمه قبل ذلك "بحر للروم" ..

**فمتى وكيف كان ذلك ؟**

حدثت معركة ذات الصواري عام 34 هـ / 655 م إبان خلافة عثمان بن  
عفان رضي الله عنه .. في ذلك الوقت كان البحر الأبيض المتوسط عبارة عن  
بحيرة رومية (بيزنطية) ، إذ كانت الجيوش البيزنطية تحتل بلاد الشام ، ومصر ،  
وأجزاء من سواحل بلاد المغرب .. تستنزف خيراتها وتضطهد أهلها.

وكان وجود الروم في البحر الأبيض المتوسط يهدد الدولة الإسلامية في  
شبه الجزيرة العربية ويصعب مهمة الفاتحين المسلمين في نشر الدعوة ..

ومن هنا رأى معاوية بن أبي سفيان ، وهو الرجل المحنك ، مدى  
الخطورة التي يمكن أن يسببها الأسطول البيزنطي للدولة الإسلامية.

كان معاوية -الذي كان واليا على الشام آنذاك- على دراية تامة بالتاريخ ،  
ويعلم تماما أن الفرس تمكنوا قبل الفتح الإسلامي بأعوام قلائل ، من انتزاع  
الشام ومصر من الروم وحاصروا عاصمتهم القسطنطينية بجيوشهم البرية عام  
626 م .. اعتمد الفرس في ذلك على قواتهم البرية ولم يكن لهم في ذلك  
الوقت قوة بحرية قادرة على مواجهة الأسطول البيزنطي .. ولذا تمكن  
البيزنطيون باستخدام أسطولهم البحري القوي في البحر المتوسط ، من استعادة  
مستعمراتهم المفقودة ..

علم معاوية بن أبي سفيان ذلك جيدا ، ولذا عمد إلى إقناع خليفة  
للمسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بضرورة أن يكون للمسلمين أسطول  
بحري قوى يؤمن الدولة الإسلامية ويحقق طموحاتها ، ويحميها من غدر  
الروم.

وتمكن معاوية بالفعل من إقناع الخليفة عثمان بن عفان بضرورة أن يكون للمسلمين أسطول بحرى ، وبدأ العمل فى إنشائه ، حتى انتهوا منه وصار لهم أول أسطول بحرى فى البحر المتوسط ..

بدأ الأسطول مهامه فى البحر الأبيض المتوسط ، وكان له مهام قتالية سبقت موقعة ذات الصوارى .. ففى عام 29 هـ تمكن معاوية من فتح جزيرة "أرواد" الواقعة بين ساحل الشام وقبرص ، وكانت هذه الخطوة هامة لفتح قبرص ذاتها .. وهذا ما حدث بالفعل عام 32 هـ / 653 م .. حينما جهز معاوية أسطولاً عظيماً قوامه 500 سفينة ، حيث فتحت الجزيرة وأصبحت قاعدة بحرية إسلامية .. وفى العام نفسه أرسل معاوية أسطولاً بقيادة "جنادة ابن أبى أمية" لفتح جزيرة "رودس" .. وكان له ما أراد .. وأصبحت "رودس" هى الأخرى قاعدة إسلامية فى البحر الأبيض المتوسط ..

وإزاء ذلك استشعر الروم الخطر وعلموا أن دولتهم أصبحت فى مهب الريح، خاصة بعد أن بدأ الأسطول الإسلامى فى التقدم لفتح الأمصار ، وبالفعل انتزعت بعض دول الشام ومصر من الإمبراطور البيزنطى "هرقل" .. وفى عام 642 م تولى الإمبراطور "قنسطانز الثانى" العرش وكان يأمل فى إعادة مجد بلاده ، ويعود بها إلى سابق عهدها ، ويقضى على الأسطول الإسلامى ، ويستعيد مصر والشام ..

وفى عام 655 م علم بنشاط بحرى هائل واستعدادات كبرى يعدها والى الشام معاوية بن أبى سفيان لفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية .. عندئذ أسرع "قنسطانز الثانى" بتجهيز أسطول البحر الذى أبحر باتجاه الشام لتدمير أسطول المسلمين ، وكان التقاء الأسطولين فى عرض البحر هو السبب المباشر لمعركة ذات الصوارى ..

**ولكن .. ما معنى ذات الصوارى ؟**

اشترك فى تلك المعركة نحو ألف سفينة حربية شراعية من الطرفين ويذكر بعض المؤرخين أن العدو كان يربو على ألف ومائتى سفينة ..

لم يكن العالم فى ذلك الوقت يعرف السفن التى تدار بالبخار ، أو الفحم ، أو البترول ، أو الطاقة النووية .. وإنما كانت السفن تعتمد فى حركتها على الأشرعة التى تحملها الصوارى المثبتة فى تلك السفن .. ونظراً لكثرة

السفن ، فقد ظهرت تلك الصواري وكأنها غابة من الأعمدة الخشبية .. لذا أطلق المؤرخون على تلك المعركة "ذات الصواري" ..

### كيف سارت المعركة ؟

اجتمع شمل الأسطول الإسلامي بالتقاء أسطول الشام المرسل من قبل معاوية بن أبي سفيان بالأسطول المصري بقيادة عبد الله بن أبي السرح .. وقد بلغ عدد سفنه نحو مائتي سفينة .. التقى هذا الأسطول بالأسطول البيزنطي بقيادة قنسطانز الثاني ، وكان أسطولا ضخما ، ذكر المؤرخون أنه يزيد على خمسمائة سفينة ويقل عن ألف سفينة .. وكانت السفن مجهزة تجهيزاً جيداً يفوق تجهيز سفن الأسطول الإسلامي ..

لم يكن هناك أدنى شك لدى الروم في هزيمة الأسطول الإسلامي ، خاصة وأن الجيش الإسلامي (العربي) حديث عهد بالحروب البحرية .. بدأت المعركة ولم يكن العرب يجيدون سوى الرماية بالأقواس والسهام .. وهذا ما لا يتناسب مع البحر .. إلا أن القائد العربي فكر في حيلة غاية في الذكاء ، وهي تحويل الحرب إلى حرب برية .. فكيف كان ذلك ؟

صدرت الأوامر إلى الجنود المسلمين بإلقاء الخطاطيف على سفن الروم وجذبها إليهم ، حتى إذا ما التصقت سفن العدو بسفنهم تحول البحر إلى ميدان برى .. وهذا ما حدث بالفعل .. وراح الجنود المسلمون في قتال أعدائهم الروم بسيوفهم ورماحهم ، حتى أصيب الأعداء بالشلل التام ، وكثر فيهم القتل ، وتحول لون الماء الصافي إلى لون الدم ..

حاول الروم أن يعيدوا إلى أنفسهم شيئاً من الثقة ، فعمدوا إلى الفكرة التي ابتدعها المسلمون في جذب السفن إليهم ، وكادوا أن ينجحوا في جذب سفينة القيادة إليهم ، وعلى متنها القائد "عبد الله بن أبي سرح" إلا أن الله سبحانه وتعالى أفسد خططهم ، حيث ألقي جندي يدعى "علقمة" بنفسه على السلسلة التي جذبوا بها السفينة ، وأخذ في قطعها غير مبالٍ بسهام الأعداء حتى تمكن من قطعها وإنقاذ القائد من الوقوع في أيدي الأعداء ..

ولم تمر تلك المحاولة الفاشلة من الأعداء على الجنود المسلمين مر الكرام .. إذ كيف يجرؤ عدوهم على محاولة أسر قائدهم ؟!

لقد أصروا على الانتقام من تلك المحاولة الفاشلة ، فاقترحوا سفينة القيادة وعلى متنها قائدهم "قنسطانز" وقتلوا العديد من جنوده ، وتمكن "قنسطانز" من الهروب متنكراً ، واستقل مركباً آخر واتجه به إلى جزيرة صقلية جنوب إيطاليا .. تاركاً جنوده فريسة في أيدي المسلمين ..

كان عدد جنود الروم حوالي عشرين ألفاً ، سقط معظمهم قتلى ، وأسرو بعضهم .. ولم يفلح في الهروب إلا عدد قليل !!

وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لأسطول الروم .. وتمكن الأسطول العربى الإسلامى من السيطرة على البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح بحيرة إسلامية بعد أن كان بحيرة "رومية" مما مكن المسلمين من الاستقرار فى كل البلدان المطلة على البحر الأبيض .. وفى نفس الوقت علمت الروم قوة المسلمين البحرية فعمدوا إلى الاستقرار داخل حدود دولتهم فى آسيا الصغرى مكتفين فقط بالدفاع عن أنفسهم إذا ما هوجموا وتخلوا تماماً عن فكرة طرد العرب من مصر والشام.

يذكر الأستاذ / محمد غريب جودة ، أن النتيجة غير المباشرة لهذه المعركة هى أنها حلت "عقدة العرب" من البحر ، وحررتهم من خوفهم القديم منه ، ومنحتهم الثقة فى قدرتهم الملاحية ، فانطلق العرب والمسلمون يجوبون البحر الأبيض المتوسط وقد خلا من العدو البحرى الأكبر .. ومن البحرين الأبيض والأحمر اندفع بعد ذلك الربابنة المسلمون يرتادون البحار الجنوبية ، وانطلقت القوة البحرية العربية من عقالها لتصبح مارداً عظيماً يسيطر على بحار العالم من بحر الزقاق "مضيق جبل طارق" غرباً إلى بحر الصين شرقاً ..

وتقدمت فنون الملاحة تقدماً عظيماً على أيدي رجال البحر العرب ، واصطبغت تماماً بصبغة عربية بدرجة انتقل معها الكثير من المصطلحات الملاحية والبحرية والعربية إلى معاجم اللغات الأخرى.



## معركة ليبانتو Lepanto (1571م)



جرت معركة ليبانتو البحرية بين أسطول الأتراك العثمانيين ومجموعة أساطيل مجموعة من الدول الأوروبية هي: النمسا وإسبانيا وفرنسيا وجنوا ومالطة بتوجيه من بابا روما سنة (1571م) . ويعتبرها مؤرخو الغرب من أهم المعارك التي انتصر فيها أسطول الدول المسيحية على أسطول للمسلمين، بل إنهم يعتبرونها نقطة تحول في تاريخ الصراع الحربي بين المسيحيين والمسلمين ، حيث كان النصر حليف الجيوش الإسلامية طوال القرون السابقة في المعارك البرية حتى اضطرت المسيحية إلى الانسحاب إلى داخل القارة الأوروبية التي كان المسلمون الأتراك يهاجمونها من الشرق وكان مسلمو الأندلس يهددونها من إسبانيا أو الأندلس في الغرب.

وبعد أن كانت الحروب الصليبية قد انحسرت عن أراضي العالم الإسلامي بعد معركة حطين سنة 1187م ، وبعد استيلاء الظاهر بيبرس على أنطاكية سنة 1268م ، وعلى حصن الصليبيين في بلاد الأكراد سنة 1271م ، وكذلك بعد استيلاء السلطان قلاوون على طرابلس في لبنان سنة 1289م ، ثم استيلاء ابنه السلطان الأشرف على آخر حصون الصليبيين في بلاد الأناضول 1374م فانطوت بذلك آخر صفحة من صفحات الحروب الصليبية لكي تقاها دول أوروبا الصليبية باجتياح الأتراك العثمانيين لبلادهم داخل أوروبا بعد معارك برية ، بدأت باستيلاء السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية سنة 1453م لكي يتمكن الأتراك العثمانيون ، وهم مسلمون لا يتكلمون اللغة العربية ، من التوغل في الأقطار الأوروبية حتى وصلوا إلى بودابست وفيينا في عهد السلطان سليمان الأول ( 1520 - 1566م ).

ولكن الأتراك العثمانيين كانوا متفوقين على جيوش الدول الأوروبية في المعارك البرية ، ولم يلتفت الأتراك العثمانيون إلى الاهتمام بمطالب الحروب البحرية اهتماما كافيا ، إذ اكتفوا فقط بالاستيلاء على جزيرة صقلية وجزيرة

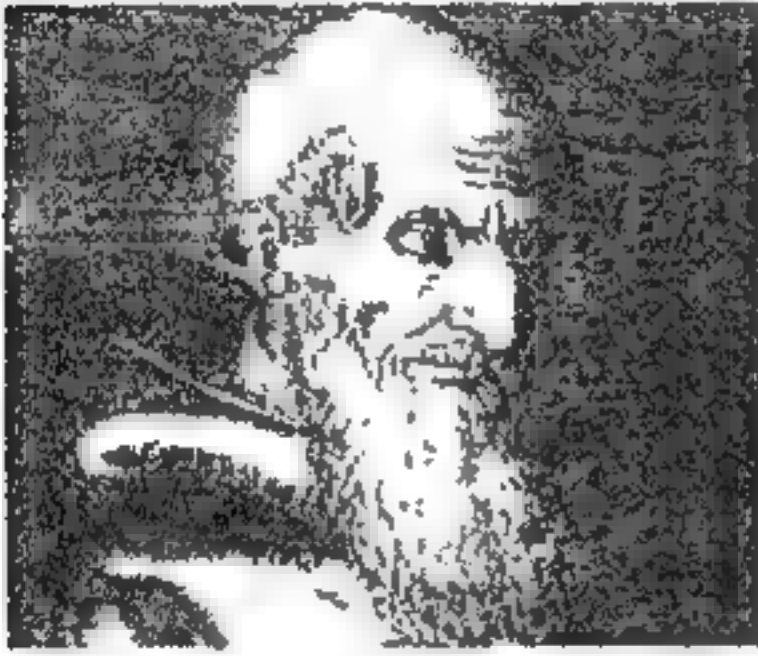


رو德斯 ، ولم يستطيعوا الاحتفاظ بسيطرتهم عليها إذ انتزعتها منهم الإنجليز عندما ضعفت الإمبراطورية العثمانية.

وكان انعدام سيطرة الأتراك العثمانيين على البحر المتوسط من أهم أسباب انهيار الإمبراطورية العثمانية ، إذ لم يستطيعوا أن يحكموا سيطرتهم على البلاد الأوروبية المطلّة على البحر المتوسط للوصول إلى المداخلات البحرية الأوروبية إليها باستمرار ، واضطر الأتراك العثمانيون إلى التوغل في وسط أوروبا وأصبحت جيوشهم شبه محاصرة من الشمال والجنوب ، حيث كلنت دول

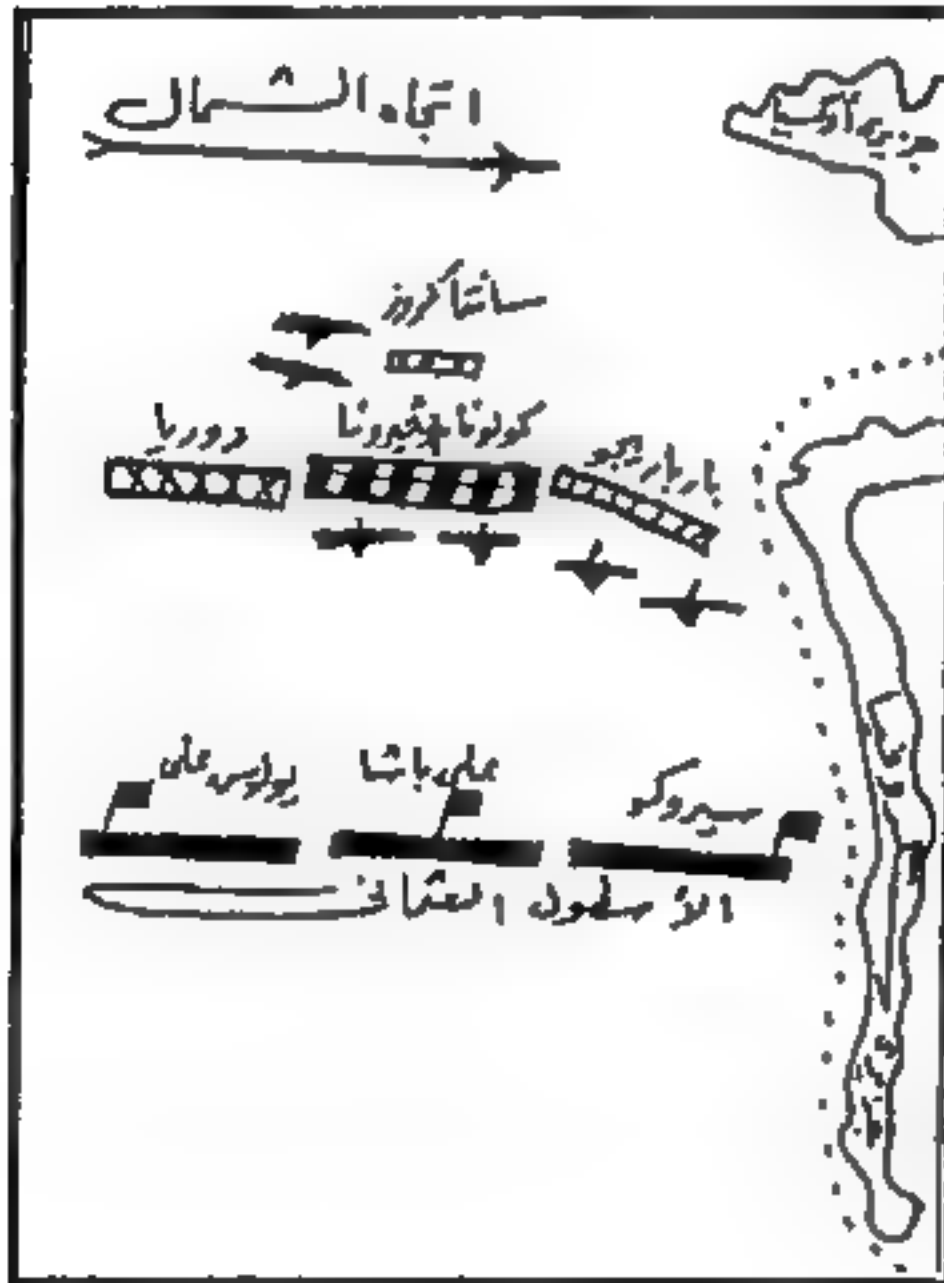
أوربية قوية تتأخم الفتوحات العثمانية من الشمال مثل ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وروسيا بينما كانت الدول الأوروبية في جنوب أوربا قد استعصى فتحها على الأتراك العثمانيين مما جعل فتوحاتهم في أوربا في النهاية أشبه بجيب محاصر من الشمال والجنوب ، وفي ذلك تتجلى أهمية البحر في حصار القوات العسكرية الموجودة فوق البر وهو مشهد تكرر كثيرا عبر عصور التاريخ.

وهكذا اقتسمت دول أوربا واجبات مقاومة غزوات الأتراك العثمانيين في أوربا بحيث اضطلعت روسيا وبولندا وألمانيا بالضغط على جيوش تركيا من الشمال والشمال الشرقي في حروب برية ، ودعا البابا بيوس الخامس Piys



البابا بيوس الخامس

(V) إلى حلف بحري مقدس للقضاء على الأسطول العثماني بحيث لا يهدد دول جنوب أوربا ، وللحيلولة دون أن يصبح البحر المتوسط بحيرة عثمانية . ونجح البابا بيوس الخامس في دفع دول جنوب أوربا إلى تجميع أسطول مشترك للقضاء على أسطول الأتراك العثمانيين كما سبق أن أشرنا.



وعلى الرغم من أن الأتراك العثمانيين كانوا قد دفعوا إلى المعركة بأفضل ما لديهم من السفن الحربية بقيادة على باشا فلقد كان تسليح سفن التحالف الصليبي أفضل من تسليح السفن العثمانية، حيث إنها كانت مسلحة بمدافع أطول مدى ، وكان عدد سفن التحالف الصليبي أكبر من عدد سفن الأتراك العثمانيين ، وكانت السفن التركية قد تقدمت إلى المعركة في تشكيل من خط واحد بينما

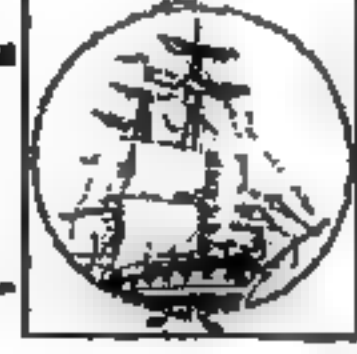
احتفظ "دون جون" الدانمركي بتشكيل على أكثر من خط محتفظا باحتياطي استراتيجي.

ولقد كان الأتراك العثمانيون قد تقدموا إلى المعركة مساء يوم 6 أكتوبر سنة 1571م لتبدأ المعركة في فجر يوم 7 أكتوبر سنة 1571م ، واستمرت المعركة لمدة أربع ساعات ، تم فيها تدمير معظم سفن الأسطول العثماني ، ولم يستطع العثمانيون أن يحشدوا أسطولا بقوة هذا الأسطول الذي تم تدميره في معركة ليبانتو (Lepanto) ولذلك تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة إذ أصبحت للأساطيل الأوروبية السيطرة على البحر المتوسط ، وكان ذلك من أهم أسباب ضعف وانهيار الإمبراطورية العثمانية.





## هزيمة الأسطول الإسباني (الارمادا) 1588م



لم يكن الصراع محتكما في القرن السادس عشر الميلادي بين العالم المسيحي الذي تحصن داخل القارة الأوروبية والعالم الإسلامي بقيادة الأتراك المسلمين فقط ، بل كان الصراع أشد احتداما بين الدول الأوروبية المسيحية داخل أوروبا ذاتها وذلك لسببين رئيسيين :

أولهما : هو الخلاف المذهبي الديني بين الكاثوليك والأنجليكانيين والبروتستانت.

وثانيهما : هو الصراع حول السيادة والسيطرة على البحار وصولا إلى المستعمرات للحصول على الثروات.

وإذا كان الملك أو الملكة ، الإمبراطور أو الإمبراطورة يتطلب من شعبه الولاء التام والطاعة الكاملة ، فلقد كان البابا ، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في روما يتطلب الولاء التام والطاعة الكاملة من كل الشعوب المسيحية لكي يكون كل الملوك والأباطرة وكل الدول المسيحية في أوروبا خاضعين للسلطة الروحية للمذهب الكاثوليكي وحده ، أما المذهب الأنجليكاني لكنيسة إنجلترا ، أو المذهب البروتستانتي في ألمانيا وهولندا والسويد والنرويج فهي هرطقة وكفر بمبادئ الإيمان المسيحي يستحق معتقوها ملوكا وأباطرة وشعوبا اللعنة والموت والهلاك والحرمان من الخلاص من الذنوب ، وهو الخلاص الذي لا يتحقق إلا بالولاء للكنيسة الكاثوليكية في روما برئاسة بابا روما.

وكانت إسبانيا وفرنسا هما الدولتان الأوربيتان اللتان كانتا تعتبران معقل المذهب الكاثوليكي ، وكان لبريطانيا مذهبها الإنجليكاني ، وانتشر المذهب البروتستانتي في ألمانيا وهولندا والدانمرك والسويد وبعض الدول الأخرى . وساد المذهب الأرثوذكسي في روسيا ، أي أن كل دولة من الدول الأوروبية الكبرى كان لها كنيستها ومذهبها الخاص بها في المسيحية.

وكانت إسبانيا على وجه الخصوص تعتبر من أهم معاقل المذهب الكاثوليكي منذ نجاحها بتوجيهات ومساعدات البابا والدول المسيحية الأخرى في طرد المسلمين من كل الأراضي الإسبانية ، وكان البابا يرغب بشدة في استغلال القوة العسكرية الإسبانية في إضعاف والقضاء على القوة العسكرية البريطانية التي تحمي الكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا.

وكانت قوة بريطانيا العسكرية تتمثل أكثر مما تتمثل في قوة بريطانيا البحرية ، كما كانت هذه القوة العسكرية البحرية البريطانية هي التي توفر الحماية للسفن التجارية البريطانية وهي تجوب البحار حاملة البضائع التجارية لحساب بريطانيا في كل البحار والمحيطات ، كما كانت تضرب بشدة السفن البحرية للدول الأخرى المنافسة في عصر الملكة إليزابيث الأولى بقيادة السير فرانسيس دريك (1540 - 1596م) على وجه الخصوص.

وإذا كانت بريطانيا قوة بحرية ، فلقد كانت إسبانيا قوة بحرية أيضا ، وكانت سفن إسبانيا الحربية تشكل الجانب الأكبر والأقوى في أسطول التحالف المسيحي الذي هزم أسطول الأتراك العثمانيين المسلمين في معركة ليبانتو

البحرية سنة 1571م ، وذلك تحت قيادة كل من "دون جون" و "سانتا كروز" ، مما جعل للبحر المتوسط بحيرة مسيحية بدلا من أن يكون بحيرة إسلامية.

وإذا كانت بريطانيا مصالحيها الاستعمارية والتجارية التي تعتمد أساسا على وجود أسطول حربي بحري قوي ، فلقد كانت لأسبانيا نفس المصالح الاستعمارية والتجارية:

وكانت إسبانيا ترغب بشدة في تحقيق رغبة البابا في أن تتحقق القوة والسيادة للدول الكاثوليكية ، وأن يحل الضعف وتلحق الهزيمة بالقوات



الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا (1556-1598م)

البريطانية التي تحمي بريطانيا وكنيستها الإنجليكانية التي لا تخضع لنفوذ بابا

روما ، ولا يتم تحقيق هذا الهدف ، بل الأهداف المتداخلة إلا بهزيمة الأسطول البريطاني.

وقام الملك الإسباني فيليب الثاني ( Philip II ) بتجهيز أسطول إسباني كبير للقضاء على الأسطول البريطاني داخل المياه البريطانية ذاتها . وعلى الرغم من أن ملك إسبانيا كان قد فقد اثنين من أبرز قادة الأسطول وهما : دون جون Don John ، وسانتا كروز Santa Cruz لوفاة كل منهما بعد الانتصار في معركة ليبانتو ، فلقب أسند الملك فيليب الثاني قيادة أسطوله الذي كان قد أعده لتدمير الأسطول الإنجليزي إلى ابن عمه "ميدينا سيدونيا" Medina Sidonia ولم يكن لديه الخبرة الحربية الكافية .. وبلغ عدد السفن الحربية الإسبانية في أسطول الأرمادا مائة وثلاثين سفينة في ستة أقسام هي:

البرتغال (Portugal) - البيسكاي (Biscay) - جيبوزكاو (Guipuzcoa) الكاستيل (Castille) - أندالوزيا (Andalozia) - ليفانت (Livant) بالإضافة إلى 30000 رجل . ولقد كان من المقرر أن تنضم إلى هذه السفن الحربية الإسبانية قوات بحرية إسبانية أخرى تحت قيادة دوق بارما (Duke of Parma) التي كانت موجودة في المياه الهولندية وبها نحو 17000 رجل.

كان الأرمادا هو أسطول إسبانيا الذي لا يقهر ، كما أطلق عليه الأسبان أنفسهم.



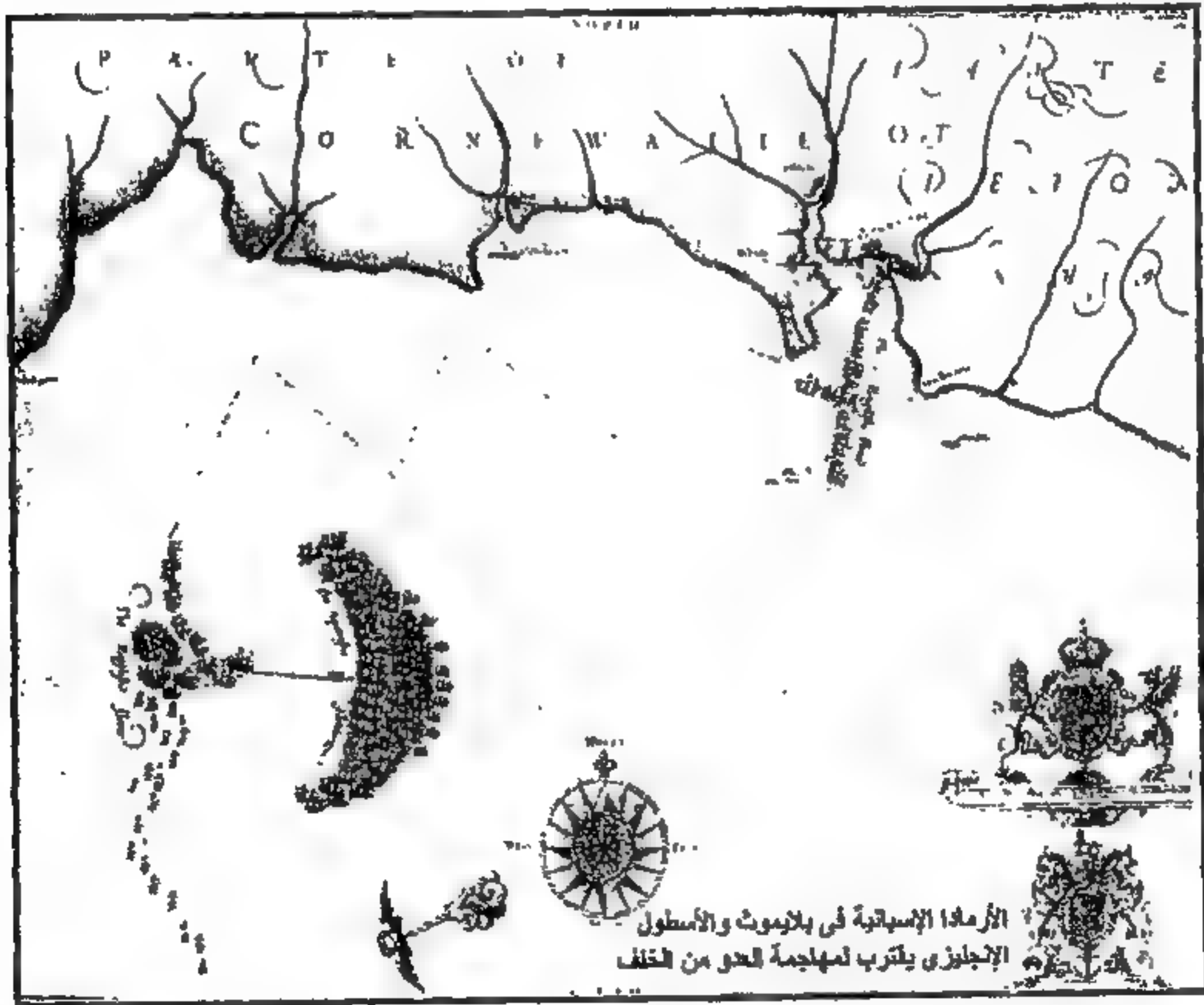
سير فرانسيس دريك

كان أسطول الأرمادا الإسباني قد تم تجهيزه لضرب وتحطيم الأسطول الإنجليزي في المياه الإقليمية الإنجليزية في نهر التيمز (Thames) نفسه ، وفي القنال الإنجليزي ليتمكن البحارة الإسبان بعدئذ من مهاجمة واحتلال العاصمة البريطانية لندن ذاتها ، حتى لا تقوم لبريطانيا ولا للكنيسة الإنجليكانية قائمة، وتغدو السيادة البحرية المطلقة ملكا لإسبانيا ، وتغدو السيطرة محكمة البابا على كل العالم المسيحي ، إذ كانت بريطانيا هي أكبر دولة أوروبية لا تخضع كنيستها لسيطرة البابا في روما . وكان الملك فيليب قد أوصى

ابن عمه مدينا سيدونيا قائد الأرمادا الإسبانية أن يقاوم بكل سفن الأرمادا مجمعة لكي يحمي بعضها بعض، ولقد حرص مدينا سيدونيا على تنفيذ هذه الوصية على الرغم من أنها كانت غير ملائمة إذ كانت بعض سفن الأرمادا تحجب نيران بعضها الآخر مما أصاب سفن الأرمادا بما يشبه الشلل.

وكان السير فرنسيس دريك وهو قائد الأسطول البريطاني يمتاز بخبرات عسكرية بحرية ممتازة . وكان قد حطم سفينة القيادة في الأرمادا قبل عام من بدء المعركة مما كان يعتبر إهانة كبيرة للملك الإسباني شخصيا ، كما كان قد تمكن من أسر سفينة إسبانية تحمل اسم ملك إسبانيا عند جزر الأزور.

وبمجرد وصول الأنباء إلى لندن بتحركات الأرمادا الإسبانية في اتجاه الجزر البريطانية عمدت الملكة إليزابيث إلى إسناد قيادة الأسطول البريطاني إلى سير تشارلس هاوارد (Sir Charles Haward) - (1536-1624م) وكان قائدا لعموم البحرية البريطانية وذلك على الرغم من الكفاءة القتالية المشهود بها للسير فرنسيس دريك الذي أسندت إليه الملكة إليزابيث قيادة الأسطول الاحتياطي البريطاني في ميناء بلايموث .



الأرمادا الإسبانية في بلايموث في 21 يولييه 1588 والأسطول الإنجليزي يقترب لمهاجمة العدو من الخلف



وعلى الرغم من أن دريك كان يرغب في ملاقاته الأرمادا الإسبانية بعيدا عن الجزر البريطانية إلا أن الأرمادا كانت قد تقدمت بالفعل واقتربت من الجزر البريطانية وبدأت الدخول إلى القنال الإنجليزي . وانضم دريك ومعه ثلاثون سفينة حربية إلى سفن السير هاوارد للدفاع عن الجزر البريطانية ضد الأرمادا الإسبانية.



وكان الأسطول البريطاني يتكون من 102 سفينة حربية من أحجام مختلفة ، وكانت كلها مزودة بالمدافع القوية ، كما كانت خطوط مواصلاتها قريبة من أرض الوطن ، وكان جنود البحرية البريطانية لديهم خبرات كبيرة بالحرب البحرية، وكانوا أكثر خبرة بوجود الخلجان والتيارات المائية واتجاهات الرياح ذات الأهمية البالغة في الحروب البحرية آنذاك.

وفي يوم الجمعة الموافق 19 يوليو سنة 1588 كان الأسطول في بلايموث عندما تحرك أسطول الأرمادا من خليج كورونا لكي يدخل القنال الإنجليزي ، وأصبحت المعركة الحاسمة على وشك أن تبدأ . وكانت الرياح مواتية للأسطول البريطاني لكي يشن الهجوم على الأرمادا مما كان يتيح للإنجليز ميزة تكتيكية مهمة.

ولم يكن قائد الأرمادا يستطيع أن يدير معركة بحرية على نطاق واسع ، ولم تكن درجة قرابته باعتبار أنه ابن عم ملك إسبانيا تكفي لتأهيله لقيادة أسطول يدخل معركة ضد الأسطول البريطاني في المياه الإقليمية البريطانية . ولقد

حاول ميدينا سيدونيا أن يطبق حرفيا توصية ابن عمه ملك إسبانيا فحرص على أن يجعل تشكيل قتال سفن الأرمادا في كتلة واحدة ، بينما عمد سير هاوارد على تقسيم أسطول له أربعة أقسام ، وأتاح لكل قسم منها حرية الحركة والالتفاف لضرب سفن الأرمادا من مسافات بعيدة .



وفي يوم 21 يوليو تمكن دريك من أن يأسر سفينة القيادة في أهم قسم من أقسام الأرمادا (الأندالوزيا) وأن يرسل بها إلى ميناء دارتسموث هدية إلى ملكة بريطانيا.

وهذا القتال ، وهذات الرياح ، ولكن الأرمادا لم تبد أي رغبة في القتال والاشتباك في المعركة الفاصلة ، بل إن ميدينا سيدونيا اقتاد سفن الأرمادا نحو الميناء الفرنسي كاليه في يوم 27 يوليو 1588 على أمل أن تلحق سفن أسطول بارما بالأرمادا.

ووضع سير هاوارد خطته بحيث يقضي على سفن الأرمادا بالقرب من دوفر قبل أن تتصل بها سفن بارما . واعتمد على تكتيك إطلاق النيران على الأرمادا من بعد.

وهاجمت سفن الأسطول البريطاني الأرمادا وهي تطلق النيران الكثيفة مما جعل سفن الأرمادا تضطرب ويختل نظامها ، وتسعى كل سفينة إلى الهرب طلبا للنجاة وتفاديا للقتال مما كان يعني الهزيمة التامة لأسطول الأرمادا.

وبطلوع فجر يوم الإثنين الموافق ليوم 29 يوليو 1588 كان أسطول الأرمادا في حالة عجز تام عن القتال ، وكانت بقايا سفنه تسعى للهرب في عرض البحر ، وأصبح الشغل الشاغل لقائد الأرمادا ميدينا سيدونيا هو إنقاذ ما تبقى من سفن الأرمادا من الدمار التام . وكانت فرصة نجاحه شبه معدومة إذ

كانت بقايا سفن الأرمادا محصورة بين جريفلاينز (Gravelines) ودنكيرك (Dunkirk) بينما كان الهولنديون يضايقون قاعدة إمدادات الأرمادا في جزيرة فلاشينج (Flushing) لكي يحولوا بينهم وبين استخدام إمكانات ميناء أنتويرب (Antwerp) وكان طريق العودة بالرجوع في القتال الإنجليزي من حيث دخلت سفن الأرمادا مستحيلا لوجود نيران سفن الأسطول البريطاني ، وقلت أغذية ومؤن وذخائر سفن الأرمادا حيث كانت محرومة من أي إمدادات أثناء توقف القتال وقبل الدخول في المعركة مباشرة ، بينما لم تكن سفن الأسطول البريطاني تعاني من أي مشاكل في الإمدادات والتموين وانضمام سفن أخرى وذخائر إلى سفن الأسطول البريطاني ليزداد حجما وقدرة على مواصلة القتال . وطوال ثماني ساعات ظلت سفن سير هاوارد تطارد بقايا سفن الأرمادا فسي فرارها شمالا يوم 30 يوليو 1588 حتى وصلت إلى نيوكاسل أون تاين (Newcastle-on-Tyne) ثم كف عن ملاحقتها.



انسحاب بقايا الأرمادا في يوم 30 يوليو 1588 م

وبهزيمة الأرمادا في القنال الإنجليزي في شهر يوليو عام 1588 ، فشلت إسبانيا



ميدالية تذكارية كتب عليها باللاتينية "ضربهم الله فبدد شملهم"

في غزو بريطانيا والقضاء على قوتها البحرية لسترداد البحرية البريطانية قوة وتزداد البحرية الإسبانية ضعفاً ولتصول السفن البريطانية في المحيط الأطلسي وفي البحر المتوسط وتجول دون مناوئ أو منافس . وعندما حاول الملك الإسباني فيليب الثاني إعادة بناء أرمادا أخرى دمرها له الهولنديون الذين كانوا

يحاولون أيضاً فرض سيادتهم وسيطرتهم البحرية لتحقيق المكاسب الاستعمارية والتجارية بالقرب من دوفر في القنال الإنجليزي أيضاً تحت مراقبة الأسطول الإنجليزي سنة 1639 وكانت سفن الأسطول الهولندي بقيادة مارتن ترومب (Marten Tromb) بينما كانت سفن الأرمادا بعد تجديدها بقيادة الأدميرال الإسباني أوكويندو (Oquendo).

كانت هزيمة الأرمادا الأسبانية ضربة قاصمة لمكانة إسبانيا وهيبتها ، لأنها كانت من أقوى دول العالم في ذلك الوقت ، وعلى الرغم من أن إسبانيا ظلت لفترة طويلة بعد المعركة كقوة كبرى ، إلا أن التجار والبحارة الإنجليزية اكتسبوا مزيداً من الثقة التي رجحت كفتهم على الإسبانين في شتى أرجاء العالم نتيجة هذا الانتصار.



## معركة ساوند The Sound (1658) م



وكانما ضاقت أراضي دول أوروبا عن معارك دول أوروبا فامتدت رقعة الحروب البحرية لتشمل بحار دول شمال أوروبا أيضا. وأصبح كل من بحر الشمال وبحر البلطيق مثار نزاع بحري لا يقل احتداما عن الصراع البحري للسيطرة على البحر المتوسط.

وفي سنة 1654 اعتلى الملك شارل جوستاف (Charles Gustavus) عرش السويد ، وكان يرغب في السيطرة على كل الدول الاسكندنافية حول بحر البلطيق وبحر الشمال في هولندا وبلاد الدانمرك . وبدأ بحصار ميناء دانزج (Danzig) مما أثار حفيظة هولندا ؛ لأن ميناء دانزج كان يعتبر ميناء تجارة القمح بالنسبة لدول شمال غرب أوروبا . والقمح سلعة استراتيجية بطبيعة الحال.

وفي عام 1654 م أرسلت هولندا تحت ضغط كبار التجار الهولنديين أسطولاً حربياً مكوناً من 42 سفينة حربية مسلحة لرفع الحصار السويدي عن ميناء دانزج بقيادة الأدميرال أوبدام (Obdam) الذي تمكن من طرد السفن السويدية من حول ميناء دانزج.

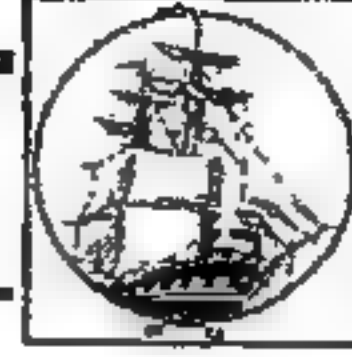
ولكن ملك السويد لم يستسلم لهذه المقاومة الهولندية لنفوذه وسيطرته على الميناء الدانمركي دانزج ، فصمم على غزو الدانمرك كلها وإخضاعها لنفوذه السويدي ، وبعث أسطولاً سويدياً ضخماً يحمل قوات برية كبيرة تمكنت من فرض شروط صلح على حكومة الدانمرك في شتاء عام 1658م بحيث أصبح كل مواني الدانمرك والمياه الإقليمية للدانمرك مغلقة في وجه السفن غير السويدية . وازداد تضرر هولندا من هذا الإجراء.

ومرة أخرى أرسلت الحكومة الهولندية أسطولاً بقيادة الأدميرال أوبسدام لطرد السفن والقوات السويدية من الدانمرك . وبعد قتال محتدم بين السفن الحربية الهولندية والسفن الحربية السويدية ووقوع خسائر جسيمة لكل من الطرفين إلى حد كان من المتعذر معه أن يقطع أحد برأي بشأن من هو الجانب المهزوم ومن هو الجانب المنتصر ، إلا أن وصول أسطول هولندي آخر يحمل 12000 مقاتل هولندي حسم المعركة لصالح الجانب الهولندي وقضى على آمال ملك السويد في السيطرة على موانئ الدانمرك ، وانتزعت هولندا حق مرور سفنها في الموانئ الدانمركية في أعقاب هذه المعركة البحرية التي يطلق عليها معركة "الساوند" (The sound) في عام 1658م وكان من نتائج معركة الساوند أيضاً تقرير حرية الملاحة لكل الدول في بحر الشمال وفي بحر البلطيق ، ولا تقل أهمية حرية الملاحة في هذين البحرين عن حرية الملاحة في البحر المتوسط نفسه.



## معركة الأيام الأربعة (1666م)

### The Four-Days' Battle



على الرغم من التعاون الذي كان موجودا بين الأسطول الهولندي والأسطول الإنجليزي في القضاء على سطوة الأسطول الإسباني ، إلا أن التنافس على السيطرة البحرية كان موجودا أيضا بين الإنجليز والهولنديين لأسباب تتعلق بالسيطرة على المستعمرات والتسابق للحصول على أكبر نصيب، منها فضلا عن التنافس التجاري وأرباح النقل البحري.

واتخذ هذا التنافس في السيطرة البحرية بين الإنجليز والهولنديين صورة



دي رويتر قائد الأسطول الهولندي

سافرة في مناسبات عديدة ، كان أبرزها مصادمات بحرية محدودة في سنوات 1652-1654 م عندما كانت بريطانيا تحت حكم "أوليفر كرومويل" إذ ظن الهولنديون أن تغيير الحكومة البريطانية يمكن أن يفضي إلى ضعف في البحرية الإنجليزية ، وتراكمت أسباب الصراع إلى حد أفضى إلى ضرورة نشوب معركة بحرية بين الهولنديين

وبين الإنجليز، عندما تقدم الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال دي رويتر (De Ruyter) إلى القنال الإنجليزي يريد تحطيم الأسطول الإنجليزي ، وهو ما فشل في تحقيقه أسطول الأرمادا الإسباني ، ولكن الهولنديين كانوا يأملون أن ينجحوا فيما فشل فيه أسطول الأرمادا الإسباني ، وكان ملك فرنسا لويس الرابع عشر (Louis XIV) قد وعد الهولنديين بالمساعدة في القضاء على سيطرة الإنجليز على البحار. وبدخول الأسطول الهولندي إلى

القتال الإنجليزي بدءا من اليوم الأول من شهر يونيو 1666 م ، بدأت معركة الأيام الأربعة (The Four Days Battle) بين الأسطول الهولندي والأسطول الإنجليزي.

كان يقود الأسطول الإنجليزي الأميرال جورج مونك (دوق ألبمارل)



(George Monck) وكان في الستين من عمره ، وكان قد حارب في صف واحد مع الهولنديين ضد الإسبان من قبل ، وكان قد لعب دورا مهما في عودة الملكية إلى بريطانيا بعد موت كرومويل ، ولذلك كان الملك شارل يثق في قيادة الأميرال جورج مونك للأسطول الإنجليزي إلى جانب الأمير روبرت (Rupert) .

جورج مونك (1608-1670)

ونظرا لتخوف الإنجليز من

مساعدة الفرنسيين للهولنديين في حربهم ضد الإنجليز ، عمد الإنجليز إلى تخصيص جزء مهم من الأسطول الإنجليزي للتعامل مع السفن الحربية الفرنسية لو جاءت لمعاونة الهولنديين ، وكان ذلك الجزء من الأسطول الإنجليزي المكرس لمواجهة احتمال تدخل الفرنسيين إلى جانب الهولنديين تحت قيادة الأمير روبرت.

وأفضى تكريس جزء من الأسطول الإنجليزي لمواجهة احتمال تدخل الفرنسيين إلى إضعاف الأسطول الإنجليزي عند اشتباكه مع الأسطول الهولندي، وحدثت خسائر جسيمة لكل من الطرفين من جراء تبادل الهجمات بين السفن الحربية ، ولحسن حظ الإنجليز سمع الأمير روبرت دوى مدافع السفن في المعارك التي دارت بين الأسطولين ، وعندما تأكد من عدم تدخل الفرنسيين في المعركة أسرع بسفنه لمناصرة الأميرال جورج مونك مما جعل كفة الأسطول الإنجليزي ترجح على كفة الأسطول الهولندي.



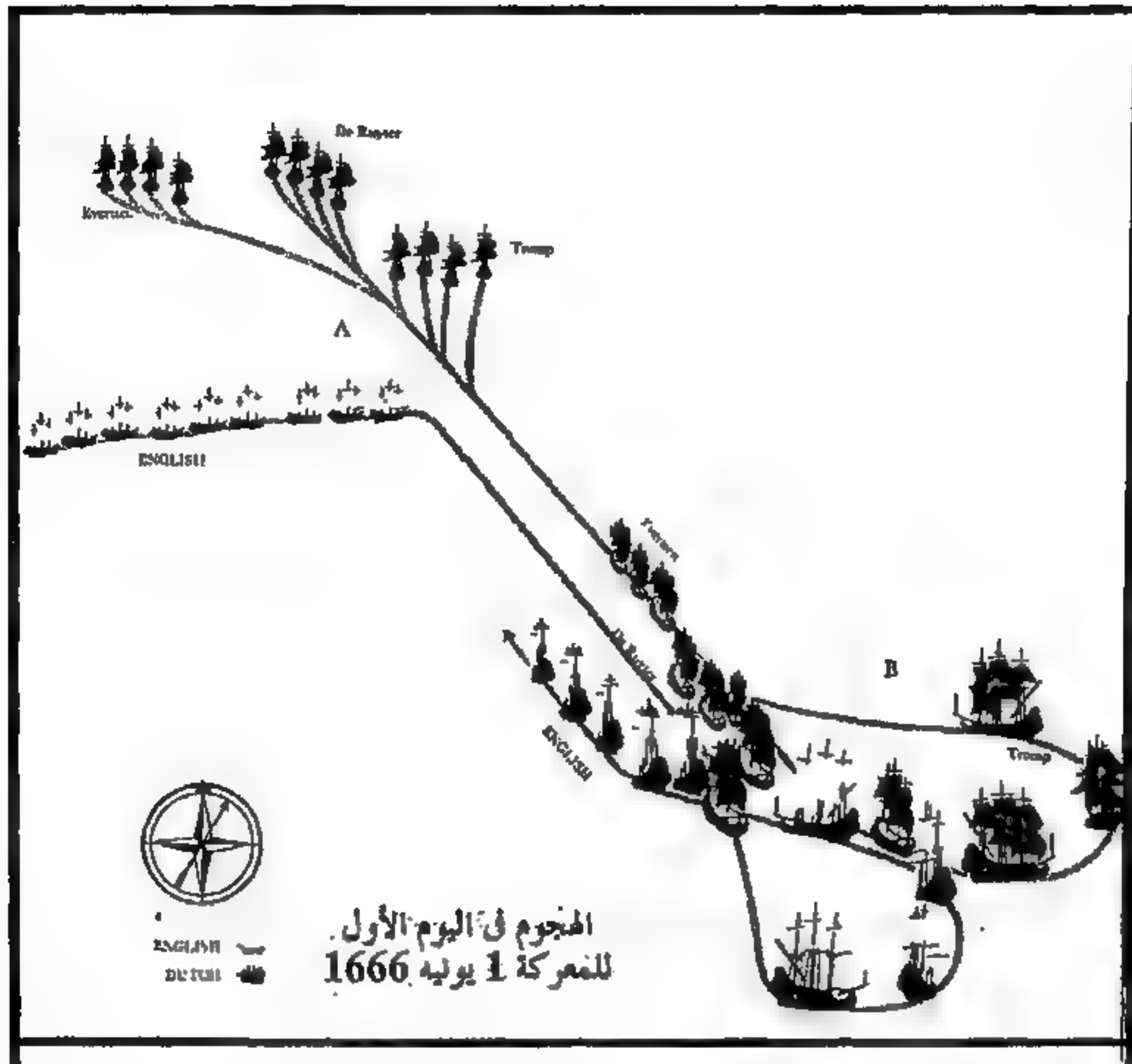
ومن المتعذر تحديد من المنتصر ومن المهزوم في مثل هذه المعارك البحرية التصادمية. لقد أصيبت بالدمار أو العطب الشديد - سفن حربية عديدة لكل من الطرفين . وشرط الانتصار في المعارك هو أن تدمر قوات الطرف المنتصر قوات الطرف المهزوم إلى حد كبير يجعلها عاجزة عن مواصلة القتال دون وقوع خسائر في الجانب المنتصر أو تحمل الجانب المنتصر لخسائر طفيفة ، أما عندما يكبد كل من طرفي المعركة أحدهما للآخر خسائر فادحة ، فمن الصعب تحديد الطرف المنتصر والطرف المهزوم . وربما كان هذا التحديد سهلا في المعارك البرية عندما يدمر طرف جنود ومعدات طرف آخر مع الاحتفاظ بقواته وسلاحه وعتاده بحالة جيدة ، أو عندما يطرده من مساحات مهمة من الأراضي المتنازع عليها ، ويضطره إلى الانسحاب منها. أما المعارك البحرية فهي تدور بطبيعة الحال فوق سطح مياه البحار ، وليس الهدف هو احتلال مياه البحار ، ولكن الهدف هو تدمير السفن البحرية بحيث تتحقق السيطرة البحرية لطرف دون الآخر في القدرة على الملاحة في مياه بحر معين أو محيط من المحيطات دون أن يتمكن الطرف الآخر من ذلك ؛ لأن سفنه الحربية قد تم تدميرها في معركة بحرية حدثت من قبل.

استمرت هذه المعركة بين الإنجليز والهولنديين لمدة أربعة أيام ، دامت فيها الاشتباكات بين سفن الأسطول الإنجليزي والأسطول الهولندي بدءا من يوم 1 يونيو حتى 4 يونيو 1666م وكانت معركة جديرة بأن يطلق عليها اسم معركة الأيام الأربعة (The Four Days Battle).

وانسحبت بقايا الأسطول الهولندي من مياه القتال الإنجليزي مثقلة بالخسائر كما انسحبت بقايا الأرمادا الإسبانية من قبل ، وفشل الهولنديون كما فشل الإسبان في تدمير قوة إنجلترا البحرية.

لماذا نقول: إن الهولنديين قد فشلوا كما فشل الإسبان من قبل في تدمير قوة إنجلترا البحرية ؟

إن تحقيق الهدف الاستراتيجي للحرب هو الذي يحدد مدى النصر أو الهزيمة والفشل في الحرب.



ماذا كان هدف الإسبان والهولنديين عندما يتوجهون بأساطيلهم الحربية إلى القنال الإنجليزي وإلى الجزر البريطانية؟ الهدف بطبيعة الحال هو تدمير الأسطول الإنجليزي واحتلال أراضي الجزر البريطانية وإخضاع بريطانيا لنفوذ وسيطرة الغزاة. وعندما تتحمل سفن الأسطول الإنجليزي خسائر مهما تكن فادحة، وتتحمل سفن أسطول الغزاة خسائر فادحة ولا يتمكن جنود أسطول الغزاة من احتلال أراضي الجزر البريطانية يكون الغزو قد فشل.

وتعتمد الدولة المهاجمة بطبيعة الحال إلى بناء أو شراء سفن حربية أخرى، كما تعتمد إلى ذلك الدولة المدافعة عن مياها الإقليمية وأراضيها. وهذا بالضبط هو ما فعلته إسبانيا بعد تدمير الأرمادا، وهذا بالضبط هو ما فعلته هولندا بعد الخسائر الفادحة التي تكبدها الأسطول الهولندي في معركة الأيام الأربعة، ولكن الغزو في الحالتين يكون قد فشل تماما في تحقيق هدفه.

ويبني الإنجليز من جديد سفنا أقوى من السفن التي خسروها في دفاعهم عن جزرهم وعن سيادتهم وسيطرتهم البحرية.

ومن الواضح أن الأرمادا الإسبانية والأسطول الهولندي في معركة الأيام الأربعة كان كل منهما يهدف إلى تحطيم الأسطول الإنجليزي أولا في بحر المانش أو القنال الإنجليزي ، ثم يحتل مشاة الأسطول في الحالتين الأراضي البريطانية للقضاء على سطوة بريطانيا ونفوذها الكبير بحرا وبراً . وبالغا ما بلغت الأضرار الجسيمة التي كانت تلحق بسفن الأسطول الإنجليزي من جراء كل من هاتين المعركتين البحريتين في المياه الإقليمية الإنجليزية إلا أن تلك الأضرار التي كان يحدثها الأسطول البريطاني في أي أسطول مهاجم للشواطئ البريطانية كانت تجعله عاجزا عن مواصلة القتال بحرا ، وعاجزا عن الغزو البري للأراضي البريطانية أيضا. وبعد فشل الأرمادا الإسبانية في تدمير الأسطول البريطاني وغزو الأراضي البريطانية في الجزر البريطانية ذاتها سنة 1588م ، وبعد فشل هولندا في معركة الأيام الأربعة في تحقيق نفس الهدف سنة 1666م رسخت حقيقة أن الجزر البريطانية يستحيل غزوها عن طريق البحر.

ولم يجرؤ نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte)(1769-1821م) على غزو بريطانيا بحرا في صميم الجزر البريطانية فأراد بغزو مصر سنة 1798م خنق بريطانيا برا لتأكده من استحالة التغلب عليها بحرا . وأراد هتلر أن يغزو بريطانيا جوا أثناء الحرب العالمية الثانية لاستحالة التغلب عليها بحرا في عام 1940م . وفشلت خطة نابليون في خنق مواصلات بريطانيا برا كما فشلت خطة هتلر في تدمير بريطانيا جوا.

ولكن قوة الإنجليز البحرية كانت باستمرار هي صمام الأمان لبقاء وازدهار قوة ونفوذ بريطانيا طوال عصور التاريخ. ولا عجب في ازدهار قوة بريطانيا البحرية ، إذ يحيط البحر بالجزر البريطانية من كل الجهات مما دفع الإنجليز إلى الاهتمام بفنون الحرب البحرية ، وبناء واستخدام السفن الحربية المسلحة بأحدث وأقوى الأسلحة ، مع توارث الخبرات البحرية بين القادة

العسكريين جيلا بعد جيل ، مما جعل مؤرخا عسكريا فرنسيا يقول : "لا شيء يضارع النظام الإنجليزي الجميل في البحر . إنهم يصبون كل نيرانهم على أولئك الذين يقتربون منهم .

ويرد الإنجليز هذه المقولة دائما وهم يفخرون بقواتهم البحرية :

"Nothing equals the beautiful order of the English at sea . They bring their fire to bear upon those who draw near them."

ولم تحاول فرنسا الدخول جديا في صراع بحري ضد الإنجليز رغم محاولاتها بناء أسطول فرنسي قوي . وقد استطاع الأسطول الفرنسي بقيادة الأدميرال الفرنسي "ديكويزن" (Duquesne) أن يهزم الأسطول الهولندي المتحالف مع الأسطول الإسباني عند جزيرة صقلية (Sicily) في عام 1676م . وجرح الأدميرال الهولندي الشهير دي رويتر (De Ruyter) جرحا مميتا في هذه المعركة التي مكنت فرنسا من السيطرة على جزيرة صقلية ، مما يدل على أن فرنسا كانت تحاول فرض شيء من السيطرة البحرية في البحر المتوسط على حساب الإسبان والهولنديين وليس على حساب الإنجليز .

ولكن الإسبان حاولوا بعد ذلك التحالف البحري مع الأسطول الفرنسي في عهد لويس الرابع عشر ، فعمد الإنجليز إلى التحالف مع الأسطول الهولندي . وفي عام 1704م تمكن الأسطول الإنجليزي بقيادة الأدميرال جورج روك (George Rooke) (1650- 1709) وبمساعدة الأسطول الهولندي من هزيمة التحالف البحري للأسطول الإسباني مع الأسطول الفرنسي في معركة جبرالتار (Gibraltar) سنة 1704م . وجبرالتار إنما هي تحريف للكلمتين العربيتين "جبل طارق" . أسفرت معركة جبرالتار هذه عن تحكم



بريطانيا في مضيق جبل طارق عند مدخل البحر المتوسط من ناحية المحيط الأطلسي مما أعطى بريطانيا مركزا بحريا مهما في أهم بحار العالم.

وأثناء حرب السنين السبع في أوربا (1756 – 1763م) ، حاولت فرنسا بناء أسطول قوي حديث في مواني نورماندي ، فهاجمت السفن البريطانية بقيادة الأدميرال جورج رودني (George Rodney) السفن الفرنسية في ميناء الهافر ودمرتها في شهر يوليو عام 1759 ، كما هزم الأدميرال بوسكاون (Boscawen) أسطولاً فرنسياً بقيادة المارشال لاكلو (La clue) قرب ميناء طولون في أغسطس من نفس العام ، ثم وجه الأسطول البريطاني ضربة أخرى بقيادة سير إدوارد هوك (Sir Edward Hawke) إلى الأسطول الفرنسي في نوفمبر من نفس العام في ضربات متلاحقة قام الأسطول الإنجليزي بتوجيهها إلى الأسطول الفرنسي حتى لا تتازع فرنسا بريطانيا في السيطرة على البحار. وفي نهاية عام 1759م وجهت بريطانيا ضربة ساحقة للأسطول الفرنسي في معركة كوبرون (Quiberon).

وهكذا كانت المعارك الحربية البحرية لا تهدأ بين الدول الأوروبية لتحقيق السيطرة البحرية التي تنافس عليها أساطيل الدول الأوروبية القوية وفي مقدمتها إنجلترا ، التي عجز الإسبان والهولنديون ثم الفرنسيون عن التغلب على الأساطيل البريطانية أولاً ثم تحقيق السيطرة البحرية للأساطيل الحربية والتجارية. البريطانية في المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وحول رأس الرجاء الصالح وكل بحار العالم . ونتج عن ذلك ازدهار التجارة والصناعة في إنجلترا واتسع نطاق المستعمرات البريطانية وحصلت بريطانيا على نصيب الأسد من هذه المستعمرات.

## معركة "أبوقير" البحرية (1798م)



### أو : معركة النيل (The Nile Battle)

تقدير العظمة وأهمية انتصار الإنجليز في معركة أبي قير البحرية سنة 1798م يطلق الإنجليز على هذه المعركة اسم "معركة النيل" لأن النيل نهر شهير تناسب أهميته وشهرته شهرة وأهمية هذه المعركة من وجهة النظر الإنجليزية.



ويعتبر المؤرخون هذه المعركة نقطة تحول في تاريخ مصر وتاريخ أوروبا وتاريخ العالم بأسره إلى حد كبير.

وترجع أهمية معركة أبي قير البحرية أيضا إلى أنها قد أبرزت نتيجة الصراع بين الاستراتيجية الإنجليزية التي تعتمد على القوات البحرية ، والاستراتيجية الفرنسية التي تعتمد على القوات البرية ، وكانت مصر بسواحلها المفتوحة شمالا على البحر المتوسط ميدانا مناسباً لإظهار تفوق استراتيجية البحر على استراتيجية البر ، كما أن هذه المعركة قد أسفرت عن استقرار السيادة البحرية للأسطول الإنجليزي دون منازع في بحار العالم بعد أن تغلب على المنافسة الإسبانية بتحطيم الأرمادا سنة

1588م وبعد أن تغلب الأسطول الإنجليزي أيضا على الأسطول الهولندي في معركة الأيام الأربعة سنة 1666م ثم في معركة جبل طارق 1704م ، ولم يبق إلا القوة البحرية الفرنسية التي كانت قد أحجمت عن الدخول في حرب بحرية

مع الأسطول الإنجليزي وإن اجتهدت فرنسا في بناء أسطول قوى كانت تجربته الكبرى في مصاحبة حملة نابليون بونابرت (1769-1852م) (Napoleon Bonaparte) التي جاءت إلى مصر في عام 1798م.

وترجع أهمية معركة أبي قير البحرية أيضا إلى أنها قد حسمت صراعا كان محتما بين حكومة الإدارة الفرنسية التي أدارت شئون فرنسا بعد الثورة الفرنسية والدول الأوروبية الكبرى مثل بريطانيا والنمسا وروسيا وإسبانيا وتركيا التي دخلت في حروب ومحالفات ومعاهدات علنية وسرية ، وحسمت معركة أبي قير البحرية هذا الصراع لصالح بريطانيا حسمًا أكيدا.

ومن المدهش أن نابليون بونابرت عندما وصل على رأس الحملة الفرنسية إلى مصر حاول أن يوهم الأتراك أنه جاء إلى مصر لإخضاع مصر للحكم العثماني ، وللقضاء على تمرد المماليك في مصر وعدم انقيادهم للسلطان العثماني ، باعتبار أن تركيا دولة صديقة لفرنسا ، بالضبط كما حاول أن يوهم الشعب المصري بأنه قد جاء لتخليصهم من ظلم وجور المماليك ولنصرة خليفة المسلمين وإعلاء شأن الإسلام وحاول أن يتقرب من المصريين بمختلف الوسائل ، فمنح الشيوخ الأوسمة والأوشحة ، وشارك المسلمين أعيادهم الدينية .. وسعى لإقناعهم أن فرنسا خليفة الإسلام والمسلمين ، كما يتضح هذا جليا من المنشور الذي وزعه على المصريين بالعربية عند نزوله الإسكندرية ، وقد جاء في هذا المنشور:

"إذا قيل لكم أني أت لأعبث بدينكم فلا تصدقوا ، بل أجيئوا بأني ما جئت إلا لأعيد إليكم حقوقكم وأقتص لكم من مغتصبها (المماليك) ، وإنني أحترم الله ونبيه وقرآنه أكثر مما يحترمه المماليك .. فنحن الأصدقاء الحقيقيون للمسلمين ، ألم نخرج على البابا لأنه كان يدعو لمحاربة المسلمين ؟!"

وكان نابليون يلح في رسائله إلى "حكومة الإدارة" في باريس لكي تسارع إلى سفر "تاليران" ، وزير خارجية فرنسا إلى تركيا لكي يقنع السلطان العثماني أن فرنسا لا تزال دولة صديقة لتركيا ، وأن الحملة الفرنسية في مصر إنما هي لإخضاع مصر لنفوذ السلطان العثماني للحصول على موافقته على احتلال فرنسا لمصر .

وكانت هذه مجرد أكاذيب نابليونية لم تلبث أن انكشفت ، ولم يسافر "تاليران" آنذاك إلى تركيا ، وقبض الأتراك على السفير الفرنسي في تركيا وأودعوه السجن مع موظفي السفارة الفرنسية ، وعملت تركيا بمساعدة الإنجليز على توجيه الحملات العسكرية العثمانية لمحاولة طرد جيش نابليون من مصر ، مما اضطر نابليون إلى محاولة غزو فلسطين والشام ، إلى أن فشل في حصار عكا، فرجع عنها مع بقايا جيشه الذي أصاب الطاعون عددا كبيرا من جنوده ، لكي يجد أشد العناء في محاولة إخماد ثورة المصريين عليه في القاهرة ، وكانت هزيمة الأسطول الفرنسي أمام الأسطول الإنجليزي في معركة أبي قير البحرية هي السبب المباشر في تشجيع تركيا لكي تعلن الحرب على جيش نابليون في مصر ، كما كانت السبب في إقدام المصريين على الثورة ضد الفرنسيين ثورات متكررة.

كان نابليون بونابرت قد تحرك في يوم 19 مايو سنة 1798م كقائد للأسطول الفرنسي للحملة الفرنسية على مصر من ميناء طولون على ظهر السفينة "لوريان" التي كان بها ثلاثة صفوف من المدافع ، في كل صف أربعون مدفعا . وكان في الأسطول الفرنسي المصاحب للحملة الفرنسية 13 بارجة يبلغ عدد مدافعها 1026 مدفعا بالإضافة إلى 42 فرقاطة ، و 130 ناقلة عليها 17000 جندي بحري و 17000 جندي من القوات البرية ، وكان في جيشه 1000 قطعة مدفعية ميدان و 567 عربة و 700 حصان وكميات كبيرة من ذخيرة المدافع وذخيرة الأسلحة الصغيرة . وكان من المقرر أن تنضم إلى حملة نابليون بونابرت على مصر سفن فرنسية أخرى كانت تعمل في جزر البحر المتوسط ليصل عدد سفن الأسطول الفرنسي إلى 400 سفينة وليصل عدد جنود حملة نابليون على مصر إلى 55000 جندي ووصلت هذه الحملة الضخمة إلى الإسكندرية في يوم 29 يونيو 1798م واحتلتها في 2 يوليو . وكانت في طريقها قد استولت على جزيرة مالطا التي كان يسيطر عليها فرسان القديس يوحنا.

وكانت هذه القوات معدة في الأصل لغزو الجزر البريطانية ذاتها بقيادة نابليون ، ولكن نابليون بعد استطلاعه القوات في منطقة نورماندي أرسل تقريره



إلى حكومة الإدارة مؤكداً أن هذه القوات غير كافية لغزو بريطانيا أو للتغلب على قوة بريطانيا البحرية ، وأوصى بالعمل على إضعاف بريطانيا وذلك لا يتأتى إلا باحتلال فرنسا لمصر ، وقطع طريق المواصلات بين بريطانيا والهند إذ كانت الهند تمثل المصدر الأساسي للثروة البريطانية . وذلك بتحويل البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية باحتلال مصر واحتلال الجزر المهمة في البحر المتوسط وبذلك يتم خنق بريطانيا. وهذا لا يناقش رغبة فرنسا الأصلية في احتلال مصر ، وليس أدل على ذلك من تلك البعثة العلمية التي صاحبت الحملة ، وكانت تضم أعداد كبيرة من علماء الرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والصيدلة ، والزراعة ، والبيولوجيا ، وخبراء في المساحة ورسم الخرائط .. ويتضح من هذا أن الغاية من الحملة كانت ، بالإضافة إلى الاحتلال ، دراسة مصر والشام دراسة دقيقة تمهيدية للاستفادة من جميع موارده.

ومن هنا نستطيع أن ندرك السبب في اهتمام بريطانيا بالتصدي لحملة نابليون على مصر وتكليف أسطول إنجليزي بقيادة هوراشيو نيلسون (Horatio Nelson) (1758 - 1805م) بهذه المهمة . نابليون يريد بغزو مصر أن يخنق بريطانيا ، وتريد بريطانيا أن تغرق حملة نابليون على مصر في مياه البحر قبل أن تصل إلى مصر . أما وقد نزل نابليون بكامل جيشه وسلاحه



الأميرال الفرنسي بوناپارت

إلى أرض مصر فلقد أصبح تدمير أسطول هذه الحملة في مياه مصر مطلباً ضرورياً لا يقل أهمية عن تدميره قبل وصوله إلى أرض مصر ليكون جيش نابليون محاصراً داخل مصر ويستطيع الأسطول البريطاني بتدميره أسطول نابليون أن يقطع خطوط مواصلات وتموين الحملة الفرنسية على مصر.

سار نابليون نحو القاهرة ، كانت مصر في ذلك الوقت تحت سلطان الدولة العثمانية اسماً ، لكن أمورها كان يدبرها المماليك . وكانت الزعامة بين هؤلاء قد انتهت إلى إبراهيم بك ومراد بك ، ومع ما كان بين الرجلين وأتباعهما من الخصومة ، فقد خرجت قوات المماليك متحدة لمواجهة الفرنسيين .. إلا أن الفرنسيين

تمكنوا من هزيمة المماليك بعد معركة حامية عرفت باسم "معركة الأهرام" ..  
لقد وقف نابليون بين جنوده ووجه إليهم كلمة رفع فيها من معنوياتهم، قال فيها:  
: "أيها الجنود ، إن أعين فرنسا تنظر إليكم من أعالي هذه "الأهرام" ! لقد صب  
الفرنسيون نيران مدفعيتهم الحديثة على المماليك ، فقتل من المماليك نحو ألفي  
رجل بينما لم يقتل من الفرنسيين سوى 40 قتيلًا !!

ولم يكسب "هوراشيو نيلسون" يتأكد من وجود أسطول الحملة الفرنسية في  
مياه "أبو قير" بعد ظهيرة يوم أول أغسطس 1798م حتى قرر الهجوم عليه في  
التو واللحظة.

كان الأسطول الفرنسي بقيادة الأدميرال برويز (Admiral Brueys)  
في وضع سيئ ، وموقع لا يتلاءم مع صالحه في معركة بحرية ضد الأسطول  
الإنجليزي الذي بدأ في الانقضاض عليه فجأة في معركة تصادمية تراكمية  
بحرية . كانت بوارج الأسطول الفرنسي الثلاث عشرة تقف والقطع الحربية  
الفرنسية الأخرى تقف بجوار المياه الضحلة لميناء أبي قير ووراءها مباشرة  
شاطئ البحر مما كان يحد من قدرة الأسطول للفرنسي على القيام بأي



مناورات يستلزمها القتال البحري  
. وكان وجود قطع الأسطول  
الفرنسي بين الشاطئ وبين  
الأسطول الإنجليزي المهاجم يمنع  
استخدام مدفعية السواحل والسفن  
الحربية الفرنسية في مؤخرة  
الأسطول الفرنسي من إطلاق  
نيرانها والاشتراك في الضرب  
ضد سفن الأسطول الإنجليزي،  
كما كان كثير من بحارة الأسطول  
الفرنسي قد نزلوا من السفن إلى  
الشاطئ لأسباب متعددة. وكان  
الأدميرال برويز قد وضع في  
اعتباره أن وجود مياه ضحلة

على أجناب الأسطول الفرنسي تجعل من المستحيل مهاجمة أجناب الأسطول الفرنسي ، ولكن السفن الإنجليزية استطاعت بالفعل الوصول إلى أجناب الأسطول الفرنسي، واستطاعت بالتالي تطويقه من الأجناب وبذلك كان الأسطول الفرنسي محاصرا بالفعل بين الأسطول الإنجليزي وبين الشاطئ المصري.

وكانت معركة أبي قير البحرية معركة تصادمية طاحنة حيث كانت قطع أسطول نيلسون تتبادل النيران مع قطع أسطول الأدميرال برويز الفرنسي دون أي هوادة ، ولم يبق من الأسطول الفرنسي سوى فرقاطتين في صباح اليوم التالي للمعركة استطاعتا الهروب من مكان المعركة بقيادة الأدميرال الفرنسي فالينيف ولم ينشط الإنجليز في مطاردته إذا كانت خسائرهم جسيمة أيضا، وكلن معظم الأسطول الفرنسي قد دُمّر فلا بأس من هروب فرقاطتين .

ولقد قُتل من بحارة الأسطول الفرنسي الأدميرال برويز نفسه وثلاثة ربابنة لثلاث سفن فرنسية و ١٧٠٠ بحار وجرح 1500 آخرون.

وبلغت خسائر الأسطول الإنجليزي 218 قتيلا و ٦٧٧ جرحا ، وأصيب الأدميرال نفسه بجرح خطير في جبينه فوق عينه التي كان قد فقدتها في معركة سابقة.

وبالقضاء على الحملة الفرنسية ، انقطع المدد عن نابليون ، وزادت حاجته إلى المال، فنقل عبء الضرائب على الشعب مع الدقة في جمعها وأفرط الحكم في إعدام المجرمين أو المذنبين وتصرف الجنود الفرنسيون بشكل علني في أمور كان الشعب المصري يرفضها ، مثل شرب الخمر، والظهور علانية مع النساء.

فانفجرت ثورة عارمة في أكتوبر عام 1798 .. وقمع الفرنسيون الثورة بعنف، وضربوا الأزهر والمدافع ، ودخلوه بالخيول ..

لم يجد نابليون بدا من أن يهاجم سوريا ويحتلها ، فخرج بجيشه من مصر في فبراير عام 1799 ، فاحتل العريش ويافا ، وقتل من حاميتها نحو ألفي جندي كانوا قد استسلموا له بعد أن أمنهم .. وأرسل فرقة من جيشه إلى القدس ، ثم وصل إلى عكا وبدأ في محاصرتها في 19 مارس 1799 ، وكان حاكمها أحمد باشا الجزار قد حصنها وأحكم تحصينها ، كما كانت قطع الأسطول







هوراشيو نيلسون

اكتسب "نيلسون" شهرة كضابط نشيط ذي عقلية حربية فذة .. وخلال معركة "سانت فينسنت" فسي 14 فبراير عام 1797 ، توصل بمبادرته في اختراق القتال إلى الاستيلاء على أربع سفن من عدوه .. وتقديراً لإحرازه هذا النصر ، عيّن فارساً ورفق إلى رتبة أميرال .. جرح في عدة مناوشات .. وفقد عينا وذراعاً .. إلا أن قواه العقلية بقيت كاملة .. ولما قضى على نابليون في مصر حظى بلقب "نيلسون بارون النيل" ..

لقد استطاع "هوراشيو نيلسون" أن يؤكد تفوقه ومهارته في قيادة المعارك البحرية ، وتفوق ومهارة جنود وضباط البحرية الإنجليزية وقوة وتفوق سفن وتسليح سفن الأسطول البريطاني عندما تغلب في عام 1805م على أكبر حشد من سفن الأسطول الفرنسي والأسطول الإسباني في معركة ترافالجار (الطرف الأغر) (Trafalgar) .

كانت السفينة الملكية "النصر" حاملة علم نيلسون في ترافلجار من نوع سفن القتال المألوفة التي كانت تشكل الأسطول الحربي الرئيسي . كانت هذه السفن البطيئة الصعبة القيادة كناية عن منصات مدفعية عائمة تحمل ما بين 60- 120 مدفعاً تطلق النار جانبا . وكانت قادرة على البقاء في عرض البحر سنوات عديدة .. بنيت "النصر" في شاتهام ودشنت سنة 1765 .. كان طولها 69.5 متراً ولها سارية تبلغ 15.5 متراً .. ولها أكثر من 100 مدفع، أكبرها اثنان من عيار 68 رطلاً ، وثلاثة من عيار 32 رطلاً وثمانية وعشرون من عيار 24 رطلاً ..

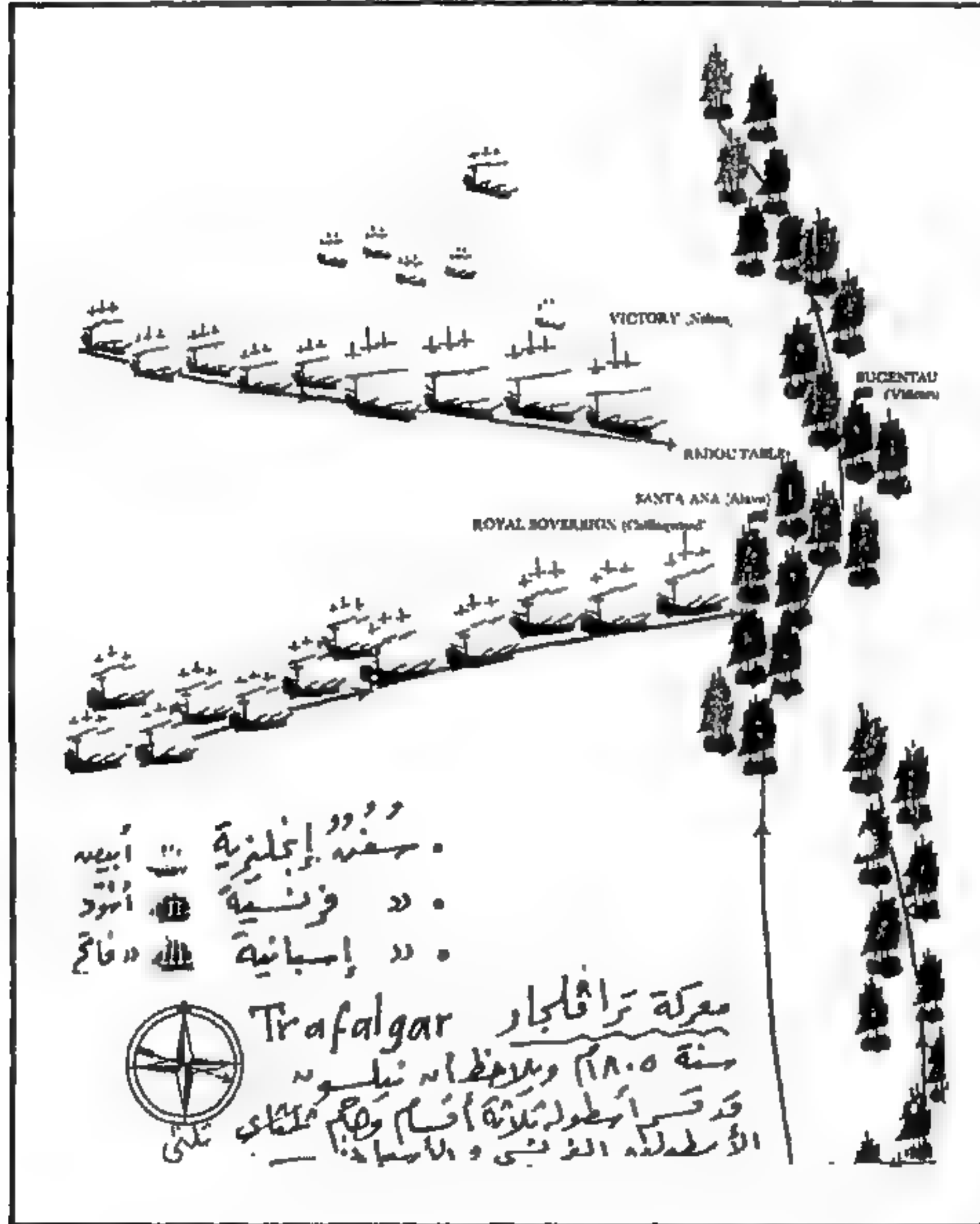
ولقد حال انتصار الأسطول الإنجليزي في معركة ترافلجار دون غزو الجزر البريطانية ذاتها ، إذ كان نابليون قد أحرز انتصارات كبيرة داخل أوروبا وحشد قواته البرية الكبيرة في بولونيا منتظرا فرصة مواتية لتجميع قوة بحرية فرنسية تستطيع أن تدمر الأسطول الإنجليزي وتمكنه من العبور إلى الجزر البريطانية.

وتحالف نابليون مع الملك الإسباني فيليب لتحقيق هذا الهدف وتحقيق التعاون بين الأسطول الإسباني والأسطول الفرنسي ، بحيث تتجمع سفن الأسطولين غربي الأنديز ثم تدخل مجتمعة إلى المحيط الأطلسي لتهاجم الأسطول الإنجليزي وتدمره في القتال الإنجليزي.

وعلى الرغم من أن نيلسون كان يراقب نشاط الأسطول الفرنسي في ميناء طولون، إلا أن قائد الأسطول الفرنسي فيلينييف (Villeneuve) استطاع المرور بسلام من طولون إلى غربي الأنديز لتتضم إليه سفن الأسطول الإسباني، إلا أن نيلسون استطاع أن يهزم الأسطولين في معركة ترافلجار يوم 11 أكتوبر سنة 1805م وتم أسر قائد الأسطول الفرنسي فيلينييف.

وقد أصيب نيلسون بجرح قاتل في هذه المعركة التي كانت آخر معاركه البحرية الكبرى التي قادها بمهارة محققا نصرا كبيرا للبحرية البريطانية ليحول مرة أخرى دون محاولة غزو فرنسا لأراضي الجزر البريطانية ، ومحققا سيطرة بحرية بريطانية طيلة قرن كامل بعد هذه المعركة ، معركة ترافلجار (الطرف الأغر) سنة 1805م.

أحاطت وفاة القائد الفذ "نيلسون" انتصار تراقلجار بغمامة سوداء !!  
 أصيب في كتفه برصاصة قناص ، فأنزل إلى أسفل السفينة ، حيث توفي  
 بعد ذلك بأربع ساعات ..  
 كان يؤمن بالانضباط الصارم ، كما كان قائداً موهوباً .. وقد أظهر في  
 غمرة المعركة شجاعة واقتداراً فائقين ، فضلاً عن عبقرية تكتيكية وبصيرة  
 ثاقبة.



## معركة نفارين البحرية 1827 م



توطدت علاقة محمد على مع الحكومة العثمانية ، بعد أن لبى دعوة السلطان العثماني في إخماد العديد من الحركات التي تعادى الدولة العثمانية .. وضحي بكثير من الجنود والأموال المصرية في سبيل تحقيق ذلك .. وقد برهن بذلك على إخلاصه وولائه للسلطان ..

تفرغ محمد على بعد ذلك للقيام بإصلاحاته الواسعة ، وبينما هو منهمك في أعماله إذ جاءت دعوة السلطان "محمود الثاني" إلى المساعدة في حرب جديدة طاحنة ، وهي إخضاع الثورة في بلاد اليونان التي كانت تابعة للدولة العثمانية.. صدع محمد على بالأمر ، ورأى أن اشتراكه في تلك الحرب فرصة لإظهار مقدرة جيوشه للبرية والبحرية ، فضلاً عن أن السلطان قد أصدر له فرماناً (أمراً) بتوليته جزيرة إقريطش (كريت) .

قامت الثورة في الجزيرة سنة 1821 ، ولما عهد السلطان إلى محمد على بإخمادها ، أرسل سنة 1823 حملة مصرية مؤلفة من خمسة آلاف جندي تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا ، فهزم الثوار شر هزيمة.

ولما عجز الأتراك عن إخضاع الثوار في بلاد المورة (جنوب اليونان)، أصدر السلطان أمراً بتولية محمد على عليها ، وأمره لتجريد جيش لقمع الفتنة هناك .. ووجد محمد على في ذلك فرصة لتوسيع ملكه وإعلان شأنه .. كما أن استتجاد الدولة العثمانية بالجيش المصري في مثل هذه الظروف يزيد من شهرته الحربية .. ولذا بادر محمد على بإرسال حملة مؤلفة من سبعة عشر ألف جندي بقيادة إبراهيم باشا ، وبحراسة الأسطول المصري الضخم المكون من 51 سفينة حربية ، 46 سفينة نقل ، فتمكنت الحملة من النزول في بلاد المورة في فبراير عام 1825 ، وفي بضعة أشهر أخضعت كل بلاد المورة ، وكانت موقعة (تربولتزا) من أهم المواقع الحربية.

وفي أثناء ذلك كان الجيش التركي يحاصر مدينة (ميسولونجي) شمالاً ،



ولما استعصت عليه ، طلب المعونة من إبراهيم باشا ، فسار إليها وحاصرها برا وبحرا ، حتى سلمت بعد أن كبدها خسائر فادحة.

### موقف الدول الأوروبية :

ثارت بلاد المورة مرة ثانية ، فأخضعها إبراهيم باشا بشدة ، ولما بلغ ذلك دول أوربا (روسيا وإنجلترا وفرنسا) اتفقوا على التدخل بين تركيا واليونان على أساس استقلال اليونان الداخلي ، مع بقاء السيادة التركية عليها (معاهدة لندن 6 يوليو سنة 1827) ..

كانت أوربا كلها متعاطفة مع اليونان ضد الحكم العثماني ، حتى إن الشاعر الإنجليزي الشهير لورد بايرون (Lord Byron) ، انضم إلى صفوف الثوار اليونانيين في منطقة سيفالونيا ، وقتل في مدينة ميسولونجي عام 1824 ..

وعلى الرغم من وجود تعارض وصراعات بين حكومات الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية نتيجة لأطماع كل دولة على حدة ، إذ كانت روسيا ترغب في إضعاف تركيا ، بينما كانت بريطانيا ترغب في أن تظل تركيا قوية حتى لا تصل روسيا إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط .. وكان لفرنسا وألمانيا أطماع كبيرة بالنسبة لهذا الصراع .. إلا أن كل أوربا كانت تريد مساعدة اليونان في أن تستقل عن الدولة العثمانية التي تساهلت في استقلال ولايات تابعة لها حول نهر الدانوب في وسط أوربا ، ولكنها تمسكت ببقاء اليونان ولاية تركية ، وذلك لشدة قرب اليونان من تركيا ، ونظرا لموقعها المتميز في البحر الأبيض المتوسط ..

وكانت تركيا تحتفظ بأسطول كبير عند شبه جزيرة المورة (جنوب اليونان) في البحر المتوسط وكانت سفن مصرية بقيادة إبراهيم باشا تشارك في هذه القوة البحرية العثمانية وهو الشأن الذي أقلق الدول الأوروبية.

كان هذا الأسطول العثماني في البحر المتوسط جنوبي شبه جزيرة المورة يقوم بإمداد القوات التركية في بلاد اليونان وبلاد البلقان بما تحتاج إليه من جنود ومؤن وذخائر. وبطبيعة الحال كانت السفن العثمانية والمصرية تدخل إلى المياه الإقليمية لليونان في البحر المتوسط وتخرج منها لهذا الغرض الحيوي.

ولإضعاف القوات التركية والمصرية في اليونان ، ولمؤازرة الثوار في



أدميرال إدوارد كادرنجتون  
(1851-1770)

اليونان اتفق ساسة الدول الأوربية على ضرورة الحد من نشاط التموين البحري للقوات التركية والمصرية في حرب المورة ، وحشدت لذلك الغرض قوات بحرية مشتركة بريطانية وفرنسية وروسية بعد زيارة قام بها الدوق ولنجتون (Duke Wellington) إلى روسيا سنة 1826م.

واتفقت هذه الدول فيما بينها على ضرورة ضرب الأسطولين العثماني والمصري، بحجة منع الأضرار التي لحقت بمتاجرهم في الشوق ، وإجابة لدعوة الثوار ، وتلبية لنداء الإنسانية !!

وبالفعل طلب قائد أساطيل التحالف

الأوربي الأدميرال سير إدوارد كادرنجتون (Admiral Sir Edward Cadrington) من إبراهيم باشا عدم إدخال رجال أو أسلحة أو سفن إلى المياه الإقليمية لليونان في البحر المتوسط وأن يوقف القتال طبقا لمعاهدة لندن 1827. وكان من المستحيل أن يوافق إبراهيم باشا على هذا المطلب الغريب الذي كان معناه قطع طريق الإمدادات الرئيسي عن القوات التركية والمصرية التي تحارب الثوار في بلاد المورة وفي وسط أوربا وأدرك سوء نية الحلفاء .. وقال لهم : " إنكم تطلبون منى وقف حركات القتال ، وفي نفس الوقت تتركون الطرف الآخر يفعل ما يريد.. وليس هذا من الإنصاف !!"

وكان تحت قيادة السير كادرنجتون 12 سفينة بريطانية و7 سفن فرنسية و8 سفن روسية ، أما سفن الأسطولين المصري والتركي فكانت نحو 62 سفينة.. إلا أن البوارج الأوربية كانت تفوقها في حسن القيادة والإعداد. ونظرا إلى أن إبراهيم باشا كان قائدا للقوات البرية فقد تولى عن قيادة الأسطول لقائد بحري

تركي هو طاهر باشا وانضم إبراهيم باشا إلى القوات البرية التركية المصرية داخل بلاد اليونان.



وكان وضع الأسطول التركي في خليج نفارين وضعاً سيئاً يشبه إلى حد كبير وضع الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية وهو وضع شبه محاصر إذ يهاجمه أسطول كبير من البحر بينما يركز الأسطول التركي على البر مما يحد من قدرته على المناورة في البحر فضلاً عن تفوق أسطول الدول الغربية في التسليح والتدريب على القتال البحري . وكان الأسطول

التركي قد اتخذ تشكيلاً يشبه "حدوة الحصان" ثلاثة صفوف على شكل نصف دائرة ، وكانت السفن الحربية الإنجليزية هي طليعة سفن أسطول التحالف الغربي فهاجمت طرف "حدوة الحصان" الموازي لساحل جزيرة كورفو ، وهاجمت السفن الفرنسية الطرف الآخر من "حدوة الحصان" ، وبقيت السفن الروسية في الخلف وبذلك اضطلع الإنجليز والفرنسيون بالدور الرئيسي في الهجوم على الأسطول التركي الذي دُمّر بعد قتال شديد ولم ينج من سفنه إلا فرقاطة واحدة وخمس عشرة سفينة صغيرة تمكنت من الإفلات من حصار أسطول دول التحالف الغربي بينما غرق في خليج نفارين أربع عشرة فرقاطة وقتل ما لا يقل عن أربعة آلاف بحار تركي ومصري . بينما قتل 182 من بحارة أسطول التحالف الغربي وجرح 489 جريحاً . وكان عدد القتلى من الإنجليز 80 بحاراً والجرحى منهم 206 بحاراً مما يدل على أن الإنجليز قد اضطلعوا بالجانب الأكبر من القتال في معركة نفارين البحرية.

ولا شك أن معركة نفارين البحرية سنة 1827م بعد معركة ليبسانتو سنة



قائد مؤخرة الأسطول الكوت هيديه

في مقابل ثمن باهظ هو خضوع تركيا لنفوذ بريطانيا بحريا ، وألمانيا وفرنسيا  
بريا مما كان له أثره في انهيار تركيا عندما استطاعت الدول الغربية اقتسام  
ولاياتها.

### وماذا كان موقف محمد علي ؟

أرادت تركيا أن تقاوم مطالب الحلفاء ، وتطلب منهم تعويضا عما أصاب  
سفنهم، إلا أن إعلان روسيا الحرب عليها أجبرها على الموافقة (معاهدة أدرنة  
سبتمبر عام 1829) . أما محمد علي ، فإنه لما علم أن فرنسا أرسلت إلى بلاد  
اليونان جيشا مؤلفا من 18 ألف جندي لإجلاء المصريين ، رأى أنه من الحكمة  
عدم التقيد بسياسة تركيا ، خصوصا بعدما هدد الأدميرال كادرنجتون بضرب  
الإسكندرية .. فعقد اتفاقا مع الحلفاء في أغسطس عام 1828 ، يقضى بجلاء  
المصريين عن اليونان ، وأن يتعهد بإعادة الأسرى اليونانيين ، وأن يرد إليه  
الإنجليز الأسرى المصريين والسفن التي استولوا عليها أثناء القتال.

لقد جرت مصر لتلك الحملة جيشا مؤلفا من نحو 42 ألفا من الجنود ،  
لم يرجع منهم سوى 12 ألفا ، بالإضافة إلى تدمير الأسطول المصري !!



## حرب الأفيون (1839م)



حروب كثيرة ألفنا سماعها ، وعلمنا نتائجها ..

الحرب العالمية الأولى .. الحرب العالمية الثانية .. الحرب الكورية ..  
الحرب الصينية اليابانية .. وغيرها كثير ..  
أما حرب الأفيون فإن الكثير يجهلونها ..  
أين وقعت ؟ وما أسبابها ؟ وماذا كانت نتائجها ؟!

وقبل أن نجيب عن تلك الأسئلة .. نورد أيضا السؤال التالي :

هل يمكن أن تستخدم المدافع والبوارج البحرية والجيش الجرارة لتسامين  
انتشار الأفيون المخدر والمدمر بين أفراد أمة من الأمم ؟ !

وهل يمكن أن نتصور بلذا يقوم بحظر استيراد المخدرات نظراً  
لخطورتها الجسدية والعقلية على المواطنين ، فتقوم الدول المصدرة لتلك السموم  
بمعاقبة هذا البلد وشن الحرب عليه ليفتح أبوابه أمام تلك السموم تحت شعار  
حرية التجارة والسوق ؟!

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات لابد من الرجوع إلى الوراء .. إلى  
ما قبل تلك الحرب ..

يقول الأستاذ / جمال الكاشف في كتابه "مقتطفات من تاريخ العالم" :

فشل "لورد مكارثي" أن يكون سفيراً لبلاده في الصين .. اكتشف بعد  
وصوله إلى بكين أن البروتوكول الصيني يحتم عليه إذا تشرف بمقابلة  
الأمبراطور "شين لانج" أن يركع على ركبتيه ، وأن يؤدي تحية "الكاو تاو" ،  
فينحني ثلاث مرات .. واعتبر ذلك ذلاً ومهانة لإنسانيته وشخصيته كسفير  
لبريطانيا .. لم يلتزم بتقاليد البلاط الصيني ، والتقى فيما بعد بالأمبراطور لقاءً  
غير رسمي .. ولكن هذه المقابلة كانت بداية سيئة لعلاقات فائرة ، فلم تحقق  
بعثته الدبلوماسية أي إنجاز !!

كان ذلك عام 1793 .. وبعد نحو عشرين سنة جاءت بعثة ثانية على رأسها سفير إنجليزي آخر كان أسوأ حظا من سابقه .. أحضر معه الهدايا والثياب الفاخرة للإمبراطور "شيا سينج" ابن الإمبراطور السابق "شين لانج" ، ولكنه بطريقة ما تركها وراءه .. وبالتالي لم يتمكن من الظهور فى حفلات البلاط أبداً ، ولم يقابل الإمبراطور !!

غضب الإمبراطور من ذلك ، وأعرب عن أمله فى ألا يتكرر إرسال بعثات دبلوماسية إنجليزية إلى الصين .. ورسم هذا الاتجاه الإمبراطورى السامى شعور كل الصينيين نحو التمثيل الدبلوماسى العالمى بوجه عام ، متصورين أن كل الدول على نفس المستوى البريطانى من العجرفة والكبرياء ، وعدم الاكتراث بالتقاليد الصينية المحلية .. وكان يسود الصين ، وقتذاك ، شعور بأنها ليست محتاجة لأى من دول العالم .. ولذا ظلت اتصالات الصين بالعالم الخارجى نادرة لعدة قرون، فيما عدا علاقات تجارية مع الإمبراطورية الرومانية .. أى أن الصين فى تلك العصور كانت مغلقة أبوابها ، متوقفة فى أرضها.

وفى عصر المغامرين التجار الأوربيين ، أبحر البرتغاليون ودخلوا مياه الصين ، ومن بعدهم الهولنديون ، فالفرنسيون ، ثم الإنجليز والروس ..

لم يرحب الصينيون كثيراً بالغربيين .. وفرضوا عليهم كل أنواع القيود التجارية ، غير أن تهاافت تجار الغرب على موارد الصين الكثيرة جعلتهم يقبلون كل هذه القيود .. وفى نفس الوقت لم يتمكن الصينيون من مقاومة الفرص التجارية الجديدة .. وعلى مر السنين نمت التجارة نموا ملحوظا بين الإمبراطورية الشرقية العظيمة ودول الغرب ..

صدرت الصين الشاي والحريز والأوانى الخزفية .. واستوردت فى المقابل المنسوجات الصوفية ، والمعادن ، والأفيون !!

وعلى الرغم من أن الأفيون كان محرماً فى الصين بحكم القانون .. إلا أن القانون لم يستطع الوقوف فى وجه الأفيون !!

ولم يسفر التشدد فى تطبيق القانون إلا عن زيادة الكميات المهربة من الأفيون عبر البحر ، وتحايل المهربون فى البحث عن طرق عديدة وملتوية

لإغراق السوق الصينية بالأفيون ..

وفى مقابل ذلك انتشرت الرشوة بين الموظفين الصينيين حتى بغضوا الطرف عن تهريب الأفيون ..

لقد لعبت بريطانيا دوراً مخجلاً فى هذه التجارة القذرة عن طريق شركة الهند الشرقية ، ذلك أن دخل بريطانيا من تجارة الأفيون مثل فى إحدى المراحل أكثر من نصف دخلها من إجمالى تجارتها مع الصين !!

كان ميناء "كانتون" هو المدخل الرئيسى للأفيون إلى الصين ، وكان معظمه يأتى من الهند بطرق مختلفة ، معظمه يأتى إلى الساحل مع الملاحين على السفن الغربية ، وكانت هناك سفن شراعية سريعة متخصصة فى هذه التجارة.

حدث هذا فيما بين عامى 1839 ، 1842 حينما أعلنت الرأسمالية الأوروبية ، وعلى رأسها بريطانيا ، حربها على الصين .. لقد كانت حرب الأفيون نموذجاً صارخ الدلالة على الوحشية التى مارسها الأوروبيون وهم يطبقون سياستهم الليبرالية على الصعيد العالمى .. وكان من نتيجتها إجبار الصين بالقوة على فتح أبوابها على الرأسمالية العالمية وإفكارها ، وتحويلها من بلد كان يتمتع دوماً بميزان تجارى فائض ، إلى بلد فقير يستورد معظم حاجياته من الخارج ، ويعانى من عجز ضخم فى معاملاته الخارجية ، ويكابد معظم سكانه من إدمان الأفيون !!

كانت بريطانيا قد فرضت سيطرتها على شبه القارة الهندية عام 1818 من خلال النشاط الأخطبوطى لشركة الهند الشرقية البريطانية ، فقد كانت بريطانيا بحاجة مستمرة إلى أسواق متنامية لتصريف فائض إنتاجها.

ومنذ أن احتلت بريطانيا الهند ، تحولت الهند إلى سوق لتصريف البضائع البريطانية ، فانهارت الحرف الصناعية الهندية ، وأجبرت الهند على التحول لزراعة القطن والجوت وبذور الزيتون لتسحق إلى بريطانيا.

استمرت بريطانيا فى استيراد الشاي والحبر الخام والعقاقير من الصين بكميات كبيرة وبخاصة الشاي .. إلا أن المشكلة التى واجهت بريطانيا هى أن السوق الصينى مازال مغلقاً أمام البضائع البريطانية .. ولهذا كان الميزان

التجارى بين الصين وبريطانيا لصالح الصين .. الأمر الذى استدعى استمرار تدفق الأموال البريطانية إلى الصين .. مما أزعج الحكومة البريطانية ، ولذلك ظل فتح أسواق الصين أمام المنتج البريطانى هدفاً عزيزاً لدى بريطانيا .. فماذا فعلت ؟

اكتشفت بريطانيا أن أفضل وسيلة لذلك هى الأفيون ..

نعم الأفيون .. وذلك من خلال فتح أسواق رابحة له داخل السوق الصينية.

كان الأفيون الذى تنتجه الهند يستهلك منه كميات محدودة داخل الصين من قبل كبار ملاك الأراضي ، ورجال البلاط والأغنياء .. وكانت الحكومة الصينية تسمح فقط باستيراده كعقار طبى ..

بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية فى إغراق الصين بالأفيون ، وذلك بتهريب وإفراغ شحنات منه قبالة السواحل الصينية ، على أن يقوم المهربون بنقله وبيعه بالداخل .. وأجبرت الشركة الهنود على زراعة الخشخاش بغرض التوسع فى إغراق السوق الصينية به.

وبدأ الأفيون يتدفق عن طريق التهريب إلى الصين ، مما حقق أرباحاً طائلة للتجار البريطانيين والحكومة البريطانية فى نفس الوقت .

وهكذا استطاعت شركة الهند الشرقية ، بواسطة الأفيون ، أن تحل مشكلة الميزان التجارى مع الصين ليصبح لصالح بريطانيا .. وأصبح ثمن الشاي والحريز الذى تشتريه بريطانيا من الصين يدفع من خلال صادرات الهند من الأفيون للصين !!

لقد تزايد تصدير الأفيون الهندى إلى الصين ، وازداد معه عدد المدمنين ، ولم يعد الإدمان مقصوراً على الأغنياء ورجال البلاط والإدارة وإنما اتسعت دائرته لتشمل قطاعات كبيرة من عامة الشعب ، الأمر الذى ترتب عليه نتائج مدمرة للصين وشعبها .. لقد حل الدمار النفسى والجسمانى والعقلى بالشعب الصينى ، وكذا بالجنود ورجال الإدارة الحكومية ، وعمت الفوضى والرشوة كبار المسؤولين ورجال البلاط ..

تنبهت الحكومة الصينية لهذا الحظر الذى دهم شبابها وجيشها ، فقامت



بحظر تجارة الأفيون .. وأمر الأمبراطور الصينى بالقبض على تجار الأفيون، وإغلاق متاجرهم ، وحرق ما فيها .. وقد لاقى هذا الإجراء ارتياحاً عاماً وقبولاً من الشعب ..

ولكن ماذا كان موقف بريطانيا ؟

لقد رأت بريطانيا فى قرار الإمبراطور الصينى ضربة مؤلمة لاقتصادها. فأعلنت الحرب على الصين ، بحجة أن ذلك يعد انتهاكاً صريحاً من الصين لحرية التجارة !! كانت الحرب غير متكافئة .. وكان لابد للصين من أن تنهزم أمام تفوق الأسطول البحرى البريطانى والتسليح المتطور لجنوده ..

استمرت هذه الحرب من عام 1839 إلى عام 1842 ، وأغار الأسطول البريطانى على عدد من الموانئ الصينية فى سلسلة هجمات وحشية ، وقتل عدة آلاف من الصينيين فى ميناء "كانتون" .. وفى عام 1841 قدمت بريطانيا صيغة معاهدة سلام ، لكن الأمبراطور الصينى رفض اعتمادها ، واستؤنفت العمليات الحربية البحرية من جديد .. وهددت البحرية البريطانية مدينة "نانكينج" عام 1842. وانتهى الأمر بتوقيع معاهدة سلام تحمل اسم تلك المدينة.

كانت الاتفاقية تفرض شروطاً مجحفة على الصين ، تنبئ عن تشفى الغالب من المغلوب .. وكانت بمثابة قائمة عقوبات تسلم بمقتضاها الصين إلى بريطانيا "هونج كونج" على مصب نهر "كانتون" ، وأن تفتح الصين موانئها الكبرى أمام التجارة الخارجية .. كما فرضت بريطانيا على الصين عقوبات مالية كبيرة، والزمته بدفع 6 ملايين دولار فضى تعويضاً عن الأفيون الذى تم حرقه ومصادرته ، 12 مليون دولار تعويضاً لنفقات الحرب ، 3 ملايين دولار مقابل ديون مستحقة للتجار البريطانيين لدى التجار الصينيين !!

وهكذا كان الأفيون سبباً فى هزيمة أكبر دول العالم ، و تنحيتها عن أجزاء من أراضيها ..

وماذا بعد ؟

وعلى الرغم من أن الصين أحنّت رأسها أمام القوة البريطانية الغاشمة ، إلا أن لظى النضال للتخلص من الغاصب ظل كامناً تحت الرماد .. وظلت الصين على تحفظها وانطوائها .. ساعدها على ذلك قدرتها على الاكتفاء الذات،

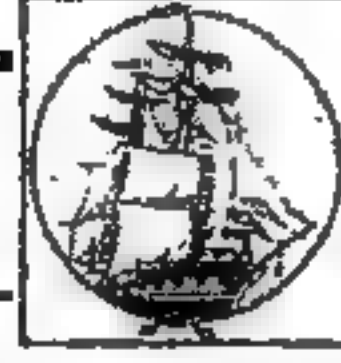
وإيمان شعبها بأن الأجانب أكثر إزعاجاً للوطن ، وأنهم فئة غير مرغوب فيها.. ولكن ماذا يفعل الصينيون وقد رسخت أقدام للمستعمر فوق أراضي مواليهم ؟  
التي كانت آمنة ؟!

ثبت الإنجليز أقدامهم في كانتون ، وهي مدينة كبيرة تقع عند مصب نهر عرضه مائة ميل هناك جنوب الصين .. وعلى هذا المصب تقع المستعمرة البريطانية الجديدة "هونج كونج" ، والتي تتميز بسرعة نموها وتطويرها ، وبحركة ملاحية كثيفة وسريعة بينها وبين كانتون .. بعضها مشروع والبعض الآخر غير ذلك .. وكثير من هذه التجارة غير المشروعة كانت تتسرب إلى المدن الصينية تحت جناح الظلام .. ولم يكن غريباً أن تشرق الشمس صباحاً فيرى الناس جنث القتلى والغرقى من البيض والصفير تطفو مع مياه المسد .. كثرت الحوادث .. وكان منها تلك الحادثة التي وقعت عام 1856 ، حيث وجد في مياه كانتون السفينة البريطانية "أرو" مشدودة إلى مرصاة تحمل العلم البريطاني ، تقدم منها زورقان صينيان وأجبراها على اللجوء إلى الشاطئ ، وقام البحارة الصينيون بإنزال العلم البريطاني من فوقها ، واقتادوا بحارتها إلى السجن .. وكان عددهم 12 بحاراً .. مما أثار بريطانيا ، واعتبرت ذلك بمثابة صب للزيت على النار ، واشتعلت حرب جديدة !!

لم تفلح جهود الوساطة لتسوية هذا النزاع ، فأبحر ثانياً أمير البحر البريطاني "سير ميشيل سيمون" إلى "فانشان كريك" ودمر الأسطول الصيني هناك .. ومرة أخرى وقعوا معاهدة سلام قصيرة العمر في 26 يونيو عام 1858 ، أنهاها الصينيون بفتح النار على السفن التي طافت تكرم الدبلوماسية البريطانية "سير فريدريك بروس" في نهر "بيهو" .. ولما أدركت بريطانيا أن الأمر يحتاج إلى قوات أكثر قوة من ذي قبل ، اشركت معها قوات فرنسية ، وبدأ الهجوم الأول ضد قلاع "تاكو" عند مصب نهر "بيهو" ..

كان القتال ضارياً ، وانتهى باستيلاء الحليفيين على قلاع "تاكو" وواصل الحليفيان السير باتجاه العاصمة "بكين" ، واشتبكا مع القوات الصينية مرتين : مرة في "تشانج كياوان" وأخرى في "باليتشان" .. وكان لابد من أن تنهزم القوات الصينية في المعركتين !! ودخلت القوات البريطانية والفرنسية شوارع العاصمة في 13 أكتوبر عام 1860.

## معركة تسوشيما (1905م)



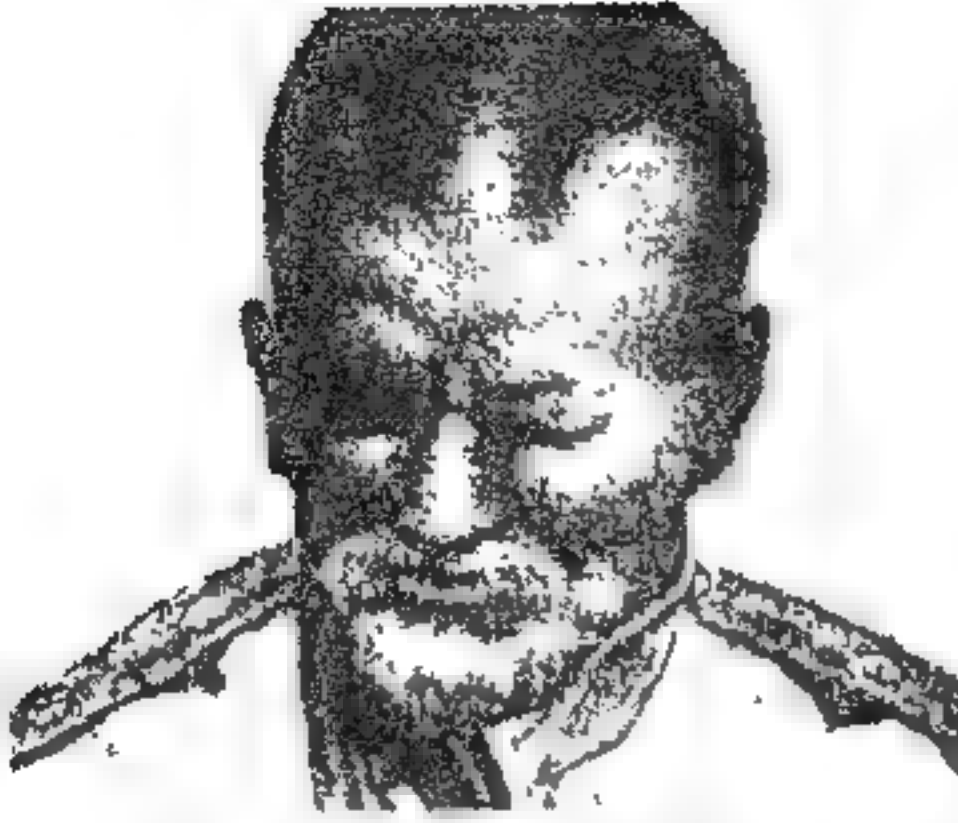
معركة تسوشيما (1905م) (Tsushima) هي أول معركة بحرية كبرى في القرن العشرين بين الأسطول الياباني والأسطول الروسي من أجل الحصول على السيطرة البحرية في المحيط الهادي (Pacific Ocean).

وقد نشب هذا الصدام البحري بين اليابان وروسيا بعد تطورات الأحداث في الحرب اليابانية الصينية وبعد أن تم إبرام معاهدة صلح بين اليابان والصين ، وأصبح ميناء بورت آرثر (Port Arthur) بموجب هذه المعاهدة تحت سيطرة اليابان. واعترضت على البند الخاص بوقوع ميناء بورت آرثر تحت السيطرة اليابانية روسيا وفرنسا وألمانيا واضطرت اليابان إلى إعلان عدم سيطرتها على ذلك الميناء المهم بالنسبة للملاحة الدولية في المحيط الهادي وخصوصا بالنسبة للنشاط البحري الروسي.

وإزاء تراجع اليابان عن التمسك بالسيطرة على ميناء بورت آرثر ازدادت مطامع روسيا في ذلك الميناء وفي غيره من الموانئ المطلّة على المحيط الهادي. وعمدت روسيا على الفور إلى إنشاء خط حديدي يمر من منشوريا إلى ميناء نيوتشوانج (Niu-Chwang) ثم يصل إلى ميناء بورت آرثر لتجعل للأسطول الروسي قواعد على شاطئ القارة الآسيوية تطل على المحيط الهادي . وإزاء هذا النشاط والطمع الروسي المكشوف عمدت اليابان في صمت إلى بناء أسطولها البحري والاهتمام بكافة شئونه.

وعندما أتمت اليابان بناء أسطولها البحري القوي هجمت فجأة على السفن الروسية التي كانت راسية في ميناء بورت آرثر كما لو كان ميناء روسيا لا نزاع عليه ، وتم تدمير السفن الروسية تدميرا تاما ، وكان ذلك هو الاحتجاج الياباني الأول على سيطرة روسيا على ذلك الميناء.

ولم يكن الأسطول الروسي في المحيط الهادي كله موجودا في ميناء بورت آرثر بل كان معظم سفن هذا الأسطول في موانئ أخرى.



الأميرال هيماكورو توجو

وإزاء هذا الاعتداء الياباني  
المباغت صدرت الأوامر الروسية  
إلى الأميرال ماكهاروف  
(Makharoff) للتصدي  
للأسطول الياباني الذي دمر سفننا  
روسية في ميناء بورت آرثر دون  
إنذار ودون إعلان للحرب . وحل  
الأميرال الروسي ماكهاروف

الدخول في معركة مع الأسطول الياباني بقيادة الأميرال هيماكورو توجو  
(Heimgoro Togo) يوم 13 أبريل سنة 1904م فاصطدمت سفينة قيادة  
الأسطول الروسي وهو يشق طريقه إلى المعركة ببقايا بركان خامد تحت سطح  
الماء وغرقت سفينة القيادة بالأسطول الروسي ، واضطرت بقية السفن إلى  
الانسحاب إلى قواعدها وعدم دخول معركة لتأديب الأسطول الياباني ، وبقي  
النار الروسي ضد تحدي اليابان للبحرية الروسية معلقا دون أن يتحقق.

وبمضي الوقت ، وعندما تحددت معالم الصراع بين اليابان وروسيا من  
أجل السيطرة على الملاحة في المحيط الهادي عمد اليابانيون على الفور إلى  
احتلال المرتفعات التي تتحكم في ميناء بورت آرثر ، وتمكنت اليابان من أن  
تضرب من البر أي قطع بحرية روسية تدخل ميناء بورت آرثر مما جعل  
الصراع بين روسيا واليابان متاججا يستلزم الحسم. وازداد بمرور الوقت حرج  
موقف الروس وأخذوا يعملون على استرداد هيبتهم في المحيط الهادي واسترداد  
سيطرتهم على موانئه . وازداد تبعا لذلك تصميم الحكومة الروسية على تحطيم  
البحرية اليابانية وكانت الحكومة الروسية تصر على أن يكون لها وجود بحري  
قوي في المحيط الهادي يعادل وجود وسيطرة قوات بريطانيا في المحيط  
الأطلسي والبحر المتوسط.

ولكن نجاح اليابان في تحطيم السفن البحرية الروسية في المحيط الهادي  
كان يحتاج من الحكومة الروسية وقتا طويلا لإعداد أسطول بحري قوي  
للطبش بالأسطول الياباني ، واضطرت روسيا إلى سحب أسطولها الموجود في



بحر البلطيق وتحريكه حول نصف الكرة الأرضية لتحقيق التوازن الروسي ضد الأسطول الياباني.

وأسند القيصر الروسي نيقولا الثاني (Nicholas II) (1868 – 1917) قيادة الأسطول الروسي إلى الأدميرال روجد رستفيسكي (Admiral Rejdestvensky) الذي يبلغ من العمر ستة وخمسين عاماً ، وكان رغم عصبية يحظى بسجل لا بأس به في الحروب البحرية ضد الأتراك . وكان الأسطول الروسي الذي تولى قيادته جيد التسليح.



وقام  
القيصر الروسي  
نيقولا الثاني  
باعتراض  
الأسطول يوم 9  
أكتوبر سنة  
1904 ، وبعد  
أسبوع تحرك  
الأدميرال  
روجد  
رستفيسكي  
بأسطوله نحو  
اليابان لتأديب  
الأسطول  
الياباني الذي

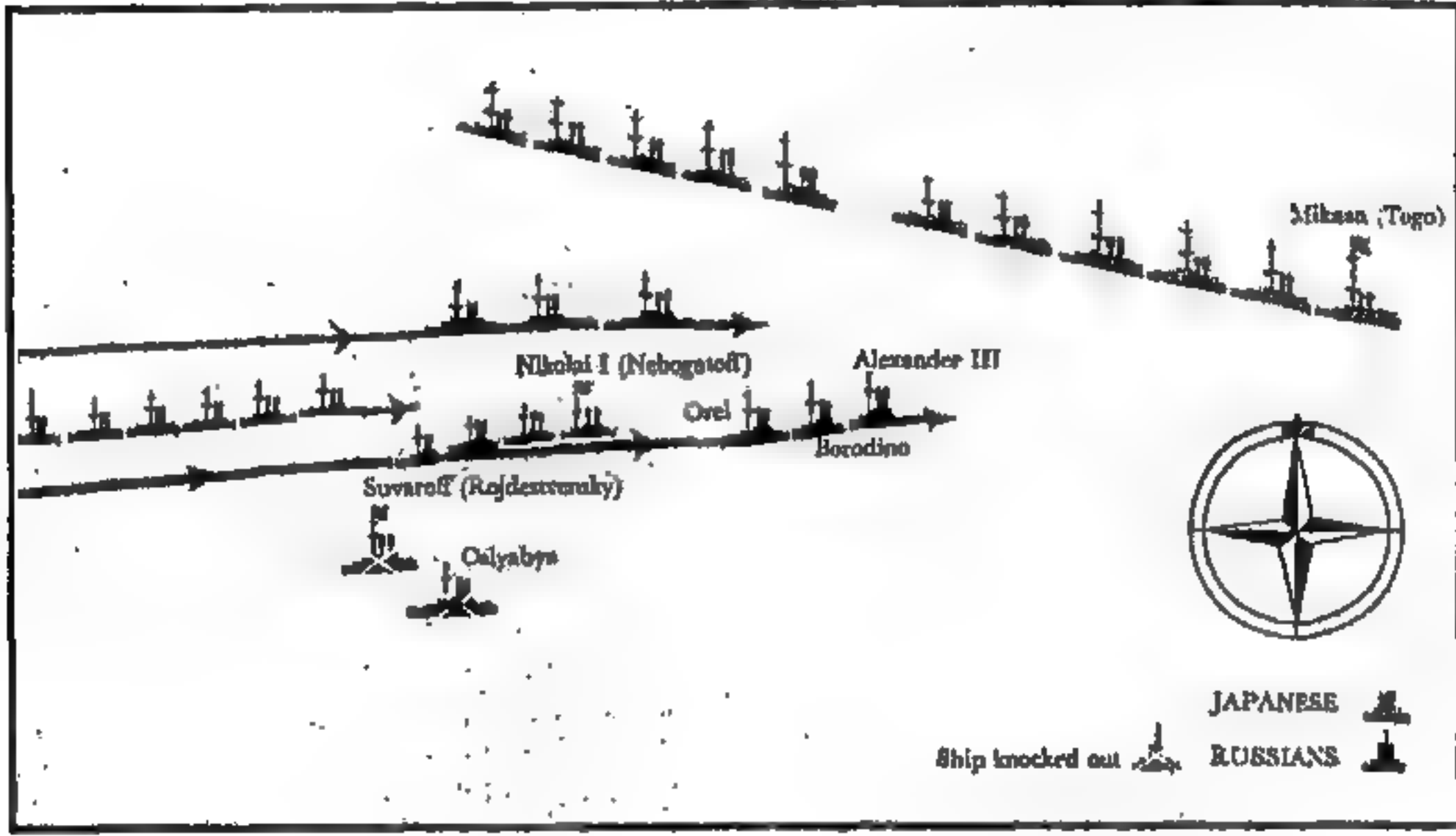
دمر الأسطول الروسي في الشرق وسدد بالفعل ضربة ساحقة لهيئة الدولة الروسية جعلت سلاحها البحري أضحوكة لكل أساطيل الدول البحرية الكبرى. ولقد كانت هذه الحساسية الروسية موجودة بالفعل وراء كواليس الحكومة الروسية التي كانت تشعر بالحرَج الشديد بين الدول وأمام الشعب الروسي.

تحرك الأسطول الروسي من بحر البلطيق إلى المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط ، وعند مضيق جبل طارق انقسم الأسطول قسمين ليدخل القسم الأول منه إلى البحر المتوسط عند جبل طارق ليمر من قناة السويس ، واتجه القسم الآخر من الأسطول الروسي إلى غرب إفريقيا ليمر حول رأس الرجاء الصالح، ربما لإخفاء حجم الأسطول عن عيون الرقباء ، والتقى القسمان في أول يناير سنة 1905 عند مدغشقر، حيث وصلت إلى الأسطول الروسي أنباء عن احتلال اليابانيين لميناء بورت آرثر احتلالا تاما . مما كان له تأثيره السيئ على الأسطول الروسي الذي كان قد خطط أن يتخذ من هذا الميناء قاعدة رئيسية لعملياته البحرية ، وها هو ذا قد سقط في قبضة أعداء روسيا ، وأصبح كل هدف الأسطول الروسي المتحرك إلى المحيط الهادي هو أن يتمكن من أن يشق طريقه رغم أنف الأدميرال توجو والأسطول الياباني لكي يصل إلى ميناء فيلاديفوستك ليتخذ منه قاعدة لعملياته البحرية بدلا من ميناء بورت آرثر ، ولكن هل ينجح الأسطول الروسي في ذلك ؟

انقضى شهر أبريل وشهر مايو سنة 1905 في ضيافة البحرية الفرنسية في الهند الصينية . ويوم 14 مايو كان الأسطول الروسي قد بدأ المرحلة الأخيرة في اقترابه من ميدان المعركة التصادمية مع الأسطول الياباني .

واخترق الأسطول الروسي قنال باشي (Bashee Channel) بين فورموزا والفلبين متجها نحو شانجهاي (Shanghai) ، وهنا بقيت السفن الإدارية رابضة عند مصب نهر يانج تسي (Yang Tse) ، وواصلت السفن المحاربة من المدمرات والفرقاطات والطرادات طريقها متجهة صوب مضيق تسوشيما (Tsushima) الذي يفصل بين الجزيرة التي يطلق عليها هذا الاسم وبين جزيرة هونشيو (Honshiu) وهي واحدة من أهم الجزر اليابانية. وكان الجو عاصفا والأمطار تنهمر وهو ما اعتبره الروس ستارة تمويه طبيعية لمصلحة الأسطول الروسي المتحرك نحو هدفه وكل أمله أن يفلت من رقابة الأسطول الياباني ، ومن الاشتباك معه قبل الوصول إلى قاعدته المنشودة في ميناء فيلاديفوستك الروسي.

وخلال الشهور التي استغرقها الأسطول الروسي للوصول إلى المحيط الهادي كان الأميرال توجو قد أجاد تدريب وحدات الأسطول الياباني على الاحتمالات الممكنة للمعركة مع الأسطول الروسي المجهز بسبب رحلته الطويلة، وكانت الانتصارات البحرية اليابانية السابقة ضد البحرية الروسية ترفع معنويات البحارة اليابانيين فضلا عن الشجاعة والجرأة والإقدام التي يتمتع بها اليابانيون عموما مع حبهم الشديد لوطنهم : اليابان.



وكان الأميرال توجو قد تعايش مع بحارة الأسطول الياباني معاشة طويلة وذاقوا تحت قيادته طعم الانتصار على الروس ، وكان يعرف كما يعرف ضباطه وجنوده كل شبر من مياه المحيط الهادي بالقرب من الجزر اليابانية ، كما كان يعرفون التغيرات المحتملة لحالة الطقس واتجاه وشدة الرياح على مدار أيام السنة، وكانت لديه كل الأسباب لكي يشعر ويشعر جنوده بالثقة التامة بالنصر على الروس. كما كانت المعلومات عن تفاصيل قواته البحرية غير متاحة لمخابرات أي دولة غربية لأكثر من سبب قوي . وكل ما كانت تعرفه المخابرات البحرية للدول الكبرى هو أن فرصة الأسطول الروسي في النصر على الأسطول الياباني إنما هي فرصة معدومة تماما.

ونظرا لأن الأدميرال توجو كان يتوقع اضطراب الأسطول الروسي إلى المرور من مضيق تسوشيما فلقد اتخذ توجو خليج ماسامبو (Masampo) في كوريا الجنوبية قاعدة للأسطول الياباني ، ومن هذا الخليج قام توجو بهجومه على الأسطول الروسي.

وفي يوم 26 مايو سنة 1905 بدأت السحب تنقشع ، وبدأت السماء تطلع عن المطر ، وبدأت الرياح تهدأ ، وبدأت الشمس تسطع . وكان الأسطول الروسي قد قرر قادته أن يدخل خليج تسوشيما أثناء النهار لتفادي صعوبات الملاحية الليلية لمثل هذا الأسطول الكبير.

وكانت خطة الأدميرال توجو بالغة البساطة ، وتتلخص في أن قطع الأسطول الياباني الأسرع من قطع الأسطول الروسي والأقوى تسليحا ستقطع طريق تقدم سفن الأسطول الروسي من الأمام ومن الخلف بمجرد أن يؤكد استطلاع البحرية اليابانية وصول الأسطول الروسي بالقرب من مدخل خليج تسوشيما ، مع تركيز لضرب على سفن الشئون الإدارية للأسطول الروسي في بداية المعركة.

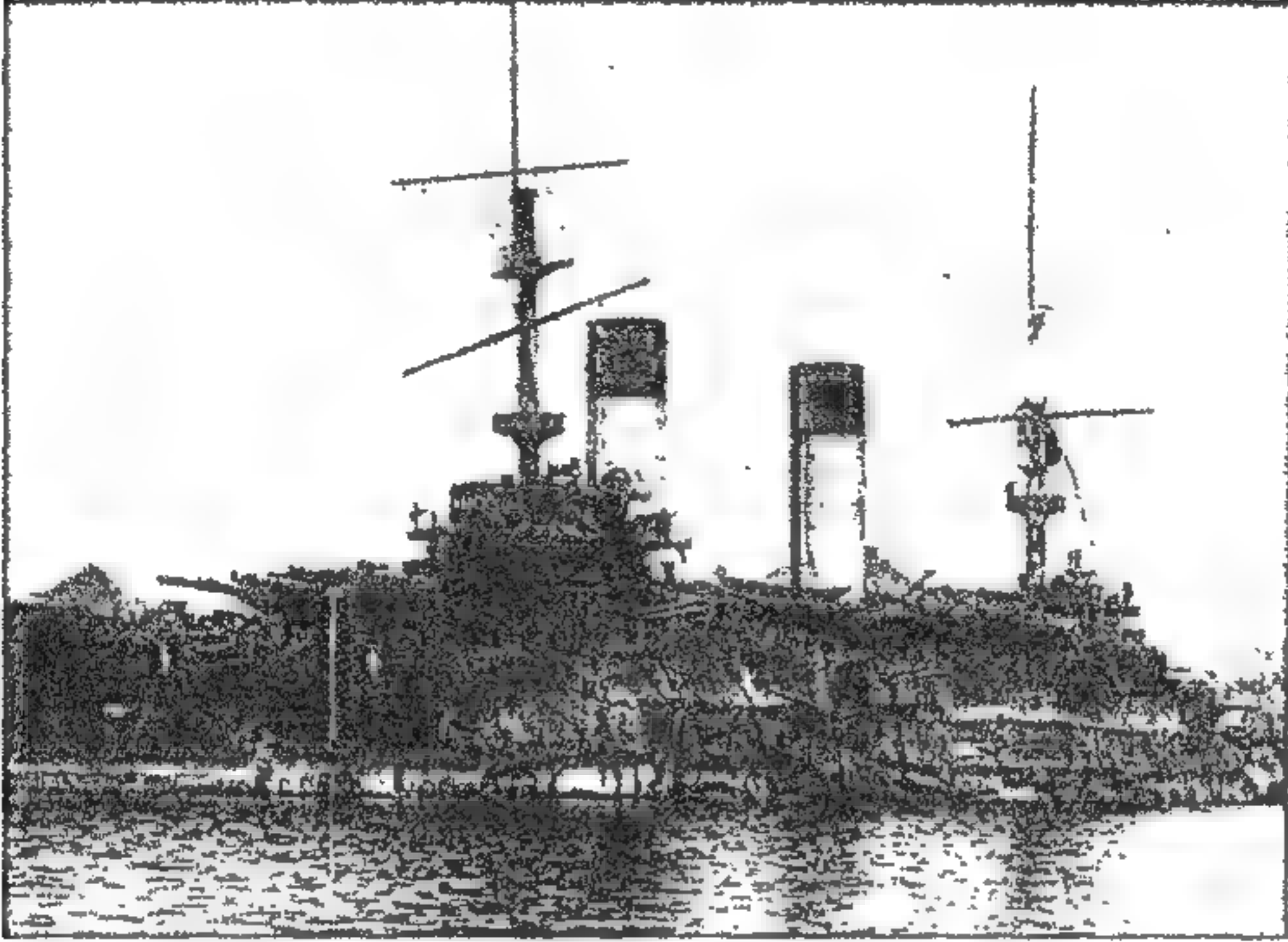
وعند الساعة العاشرة من صباح يوم السابع والعشرين من شهر مايو 1905 كان الأسطولان قد اتخذ كل منهما تشكيل المعركة المحتمومة بينهما. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف كانت سفن يابانية تسير في خط مواز لخط سير السفن الروسية ، وقام ضابط روسي على متن السفينة أوريل (Orel) بفتح النار فصاح القائد الروسي فيه قائلا : لا يجب الإسراف في استهلاك الذخيرة . وأوقفت السفينة الروسية أوريل إطلاق النار.

وظن الروس أن اليابانيين قد أحجموا عن الاشتباك معهم ، وأصدر قائد الأسطول الروسي أوامر إلى اتخاذ الطريق نحو ميناء فيلاديفوستك بالانحراف بمقدار 23 درجة نحو الشرق ، واستمر الأسطول الروسي في تقدمه بحذوه الأمل في بلوغ فيلاديفوستك سالما.



وكانت السفن الحربية اليابانية في حقيقة الأمر تتخذ أنسب المواقع لها قبل أن تبدأ في الاشتباك مع الأسطول الروسي . واستطاعت السفن الحربية اليابانية بسرعتها الفائقة أن تقطع خطوط تقدم السفن الروسية ثم تعيد التقاطع معها أكثر من مرة ، وبعد عشرين دقيقة من إطلاق نيران السفن اليابانية على السفن الروسية كان كثير من الدمار قد لحق بالسفن الروسية . وكانت قذائف السفن الروسية تُطلق بطريقة عشوائية بينما كانت القذائف اليابانية تصيب أهدافها بدقة بالغة.

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر يوم 27 مايو سنة 1905 كان الأسطول الروسي قد اختل توازنه ، واضطرب نظامه ، وتحول القتال البحري إلى مذبحة لسفن الأسطول الروسي ، وأصيبت سفينة القيادة به في مؤخرتها وبدأت تحترق، وأصيب قائد الأسطول الروسي مرتين وقتل ضابط العلم ، وكان آخر أمر أصدره قائد الأسطول الروسي إلى قادة السفن هو: "إلى نيبوجاتسوف (Nebogatoff) في محاولة للوصول بعد ذلك إلى فيلاديفوستك، ولكن تلاشت آمال كل قادة السفن الروسية في الوصول إلى مكان آخر بعد تسوشيما. كان جزء من الأسطول الياباني بقيادة توجو نفسه يهاجم الأسطول الروسي من جهة الشرق ، وكانت الطرادات اليابانية تهاجم من الجنوب ، ودخلت المدمرات والفرقاطات اليابانية أيضا وهي آمنة من أي مقاومة لكي تشترك في ضرب الأسطول الروسي . وانتقل قائد الأسطول الروسي مع عدد قليل من ضباطه إلى سفينة أخرى غير سفينة القيادة الغارقة ، ولكنها أصيبت في الحال إصابة مباشرة واستسلمت للأسر في ظهيرة يوم 27 مايو 1905 لتتجلى معركة خليج تسوشيما بين الروس واليابانيين عن تحطيم كامل تقريبا للأسطول الروسي ، ولم يتمكن من الإفلات إلا طراد واحد (cruiser) ومدمرتان ، وتمكنت هذه القطع الثلاث من الوصول إلى ميناء فيلاديفوستك ولم يعبأ الأسطول الياباني بمطاردتها.



سفينة القيادة الروسية أوريل (Orel)



كومنانت إيور أغور  
البايون سفينة أوسلوفايا



الأميرال روز هدمستسكي  
قائد ثان الأسطول الروسي

وفي تاريخ الحروب البحرية قبل هذه المعركة لم يُصَبَّ أسطول كبير بمثل ما أصيب به الأسطول الروسي من الدمار الشامل حتى أسطول الأرمادا الأسباني لم يصب بمثل هذه الدمار ، إذ تمكنت سفن كثيرة من الهروب من القنال الإنجليزي بالملاحنة شرق وشمال الجزيرة البريطانية حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي ثم إلى إسبانيا ، وتمثلت هزيمة الأرمادا الإسبانية في أنه لم يتمكن من تدمير الأسطول الإنجليزي ولم يتمكن من تنفيذ أهدافه ، ولكنه لم يصب بالدمار الكبير الذي أصاب الأسطول الروسي في معركة تسوشيما سنة ١٩٠٥م.

وكان لهزيمة هذا الأسطول الروسي الكبير في معركة تسوشيما دوي هائل في كل أرجاء العالم إذ كانت روسيا تعتبر دولة أوربية كبرى ، وكانت قاسما



كوماندانت بير اغريك  
اليابانيون سفينة اوسلوفانيا

مشاركاً أعظم في كل المنازعات الدولية في أوروبا  
وأسيا، وكانت لا تتوقف عن الحرب مع تركيا لتتزع  
من الإمبراطورة العثمانية ولايات غرب آسيا وجنوب  
شرق أوروبا ولاية بعد ولاية ، وكانت تطمح في إزالة  
الدولة العثمانية كلها والاستيلاء على كسل ولاياتها ،  
وكانت تنصب نفسها حامية للمذهب المسيحي  
الأرثوذكسي ، وللكنائس الأرثوذكسية في الشرق  
الأوسط ، ولذلك اغتبطت الشعوب العربية بانتصار  
اليابانيين على الروس سنة 1905 اغتباطاً كبيراً  
إلى حد أن نظم شعراء عرب في طليعتهم أمير  
الشعراء أحمد شوقي قصائد شعر تسجل بكل الفوح  
والارتياح والإعجاب لانتصار اليابانيين على الروس  
سنة 1905م.



كوماندانت مير برياكوف  
قائد السفينة برودينو

ولم يكن لليابان شهرة في الصراعات الدولية حتى ذلك الحين ، ولم



كوماندانت تسكاين  
نجح في الحرب إلى فيلادلفيا

يكن العالم بوجه عام يعرف مدى قوة وإمكانات  
الشعب الياباني حتى بدلت هذه المصادمات  
البحرية بين اليابانيين والروس ، ومهد هذا  
الانتصار الياباني لإقدام اليابان على تحدي قوة  
أمريكا في معركة بيرل هاربر سنة 1941م.

أنهت معركة تسوشيما الصراع البحري  
بين روسيا واليابان بتوقيع الدولتين على  
معاهدة بورتسموث (Portsmouth) في شهر  
ديسمبر سنة 1905 م واعترف الروس

بسيطرة اليابان على ميناء بورت آرثر على الرغم من شدة حاجة روسيا إلى هذا الميناء الذي لا يتجمد مياهه شتاء كما هو الحال في سائر الموانئ الروسية على المحيط الهادي ، واستولت اليابان على نصف جزيرة سخالين ، واحتلت كوريا وجلا الروس عن منشوريا ، وهكذا تراجعت روسيا وانكمشت أمام اليابان في البحر والبر مما كان له تأثير في زعزعة سلطة القيصر وحكومته في روسيا نفسها ، وهو ما يعتبره المؤرخون تمهيداً للثورة البلشفية 1917م .



الأميرال نوجي ماركوف  
وقع في أسر اليابانيين

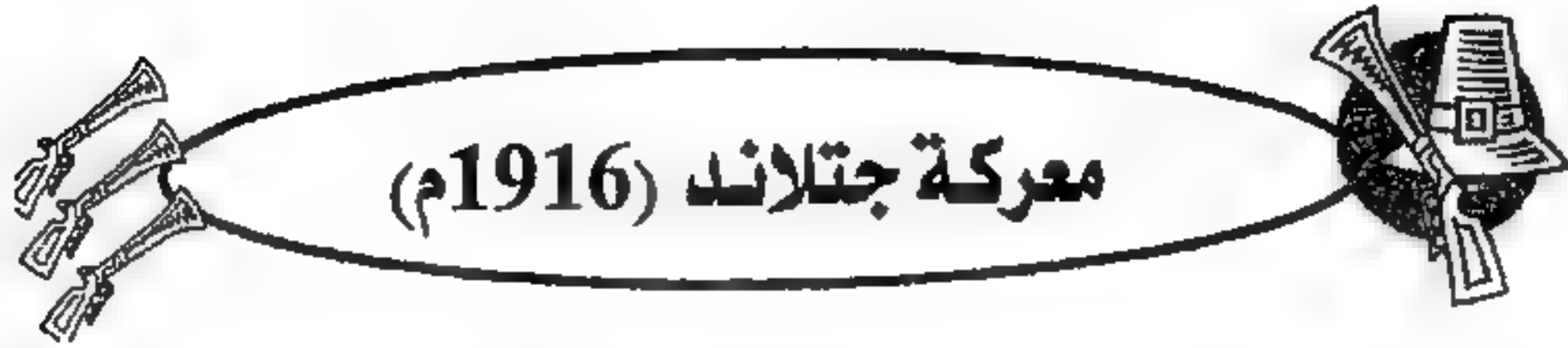


كوماماتس أوكي  
قائد السفينة ألكساندر الثالث



كوماتس إيجي  
قائد السفينة سولايوف





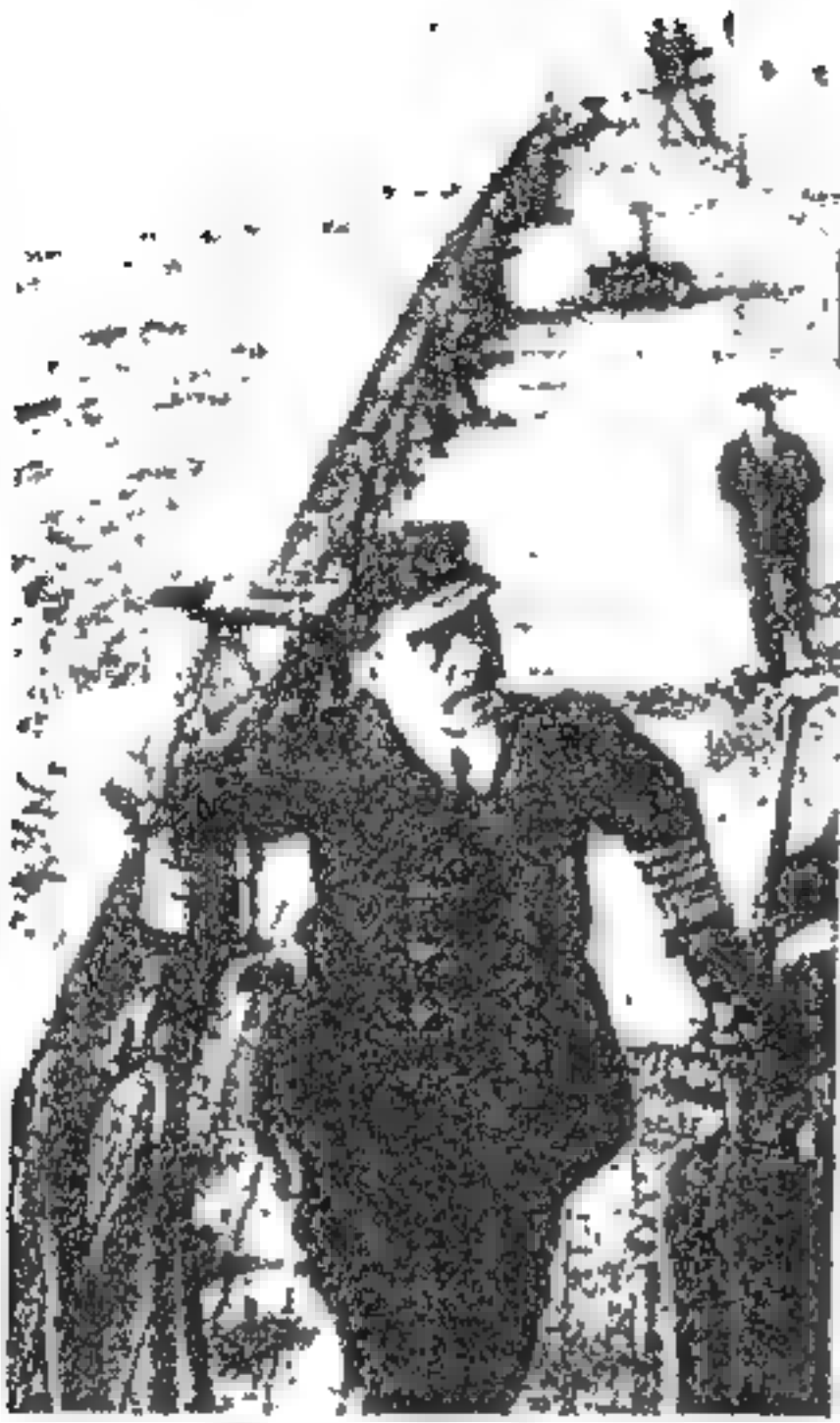
## معركة جتلاند (1916م)

كانت معارك الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) مشتعلة الأوار في البر والبحر بين الدول الأوروبية ، وكانت ألمانيا تتحمل العبء الرئيسي في معظم المعارك ضد الفرنسيين والروس والإنجليز ، بل إن الجيش الألماني كان يضطر أحيانا إلى الدفاع عن حلفائه في هذه الحرب مثل تركيا والنمسا والمجر وبلغاريا ، ولكن قوة بريطانيا البحرية لم تستطع أي دولة أوروبية أن تبلغ مبلغها، ولم تستطع أي دولة أن تدخل في صراع بحري ضد بريطانيا ، وباءت كل المحاولات للتغلب على الأسطول البريطاني بالفشل الذريع . فشل في ذلك الأسبان والهولنديون والفرنسيون والأتراك.

وعلى الرغم من أن ألمانيا لم تدخل في صراع مبكر ضد الأسطول البريطاني ، فلقد كانت ألمانيا تعمل بكل جهدها لبناء أسطول يمكنها من الحصول على نصيب أكبر من المستعمرات وراء البحار في إفريقيا وآسيا ، ويستحيل الحصول على مستعمرات وراء البحار بدون أسطول بحري قوي يصل إلى هذه المستعمرات وراء البحار.

ولقد كان من الطبيعي أثناء الحرب العالمية الأولى أن تفرض بريطانيا على الموانئ الألمانية في بحر الشمال وفي المياه المتاخمة لها من المحيط الأطلسي رقابة نشيطة مستمرة ، خصوصا أن ألمانيا كانت قد أنشأت قبل نشوب الحرب العالمية الأولى أسطولا بحريا كان من الضروري أن تحسب له بريطانيا حسابا ، واضطلع أمير البحر الألماني جليكو (Jellico) بمراقبة نشاط الأسطول الألماني الذي كان يطلق عليه اسم أسطول أعالي البحار





الأميرال جليكو قائد الأسطول البريطاني



الأميرال فون سبي قائد الأسطول الألماني

الألماني (The German High Seas Fleet) بقيادة الأميرال الألماني شير (Scheer) الذي كان يريد تنفيذ استراتيجية الانفراد بجزء من الأسطول البريطاني وتدميره ليتمكن في النهاية من إضعاف مجمل الأسطول البريطاني.

وهو ما حاوله الألمان من قبل في معركة فوكلاند (Falkland) حيث انفرد جزء من الأسطول الألماني بقيادة الأميرال فون سبي (Von Spee) بسفینتين بريطانيتين عند الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية ، وقام بتدميرهما، وبعد أسبوعين تمكنت بريطانيا من تدمير كل سفن فون سبي بواسطة أسطول بريطاني كان يقوده الأميرال سير كريستوفر كرادوك (Admiral Sir Christopher Cradock). وهكذا استردت بريطانيا هيبتها البحرية على الفور. كانت المناوشات بين الأسطول

الألماني الحديث الإنشاء والأسطول البريطاني العريق مستمرة عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى. وكانت ألمانيا قد توسعت في إنشاء سلاح



هذا الاعتبار من أن يعتبر الأسطول البريطاني منتصرا في معركة جتلاند البحرية حيث فر من أمامه وهرب منه الأسطول الألماني ، ولم يستطع الإقدام على منازلته في عرض البحر وهرب لكي يختبئ في الموانئ الألمانية.

ولقد خسر الأسطول البريطاني بقيادة جليكو ثلاثة طرادات حربية والسفينة كوين ماري (Queen Mary) والسفينة إندفاتيجابل (Indifatigable) والسفينة إنفنسابل (Invincible) . وفي مقابل ذلك أصيبت عشرون قطعة حربية من الأسطول الألماني بأضرار ، ولكنها لم تكن أضرارا كبيرة ، ونجت ست قطع حربية ألمانية من الإصابات بأي أضرار . وكانت خسائر الأسطول البريطاني في الأرواح ستة آلاف بحار ، في مقابل ألفين وخمسمائة بحار من الأسطول الألماني.



لكن معركة جتلاند البحرية أسفرت دون شك عن بقاء السيطرة البحرية للأسطول البريطاني في مياه المحيط الأطلسي والبحر المتوسط حتى بحر الشمال دون منازع إذ كفت ألمانيا عن محاولة مواجهة سفن الأسطول البريطاني فوق سطح المياه ، واتجهت جهود ألمانيا في مجال الحرب البحرية إلى إنتاج واستخدام سلاح الغواصات التي يمكن لها الاختباء في أي مكان من البحر تحت سطح الماء ثم الظهور ومفاجأة أي سفن حربية أو تجارية ، ثم معاودة الاختباء تحت سطح الماء والهروب استخدما لاستراتيجية : "اضرب واهرب تحت سطح الماء".

ومن المدهش أن هذه الاستراتيجية البحرية الألمانية التي تعتمد على الغواصات كسلاح بحري رئيسي في الحرب البحرية من جانب ألمانيا قد أفضت إلى بث الرعب والفرع في الأساطيل الحربية والتجارية لكل دول العالم ، وكانت هي السبب المباشر لدخول أمريكا للحرب سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية إلى جانب بريطانيا والحلفاء ، مما كان له أكبر الأثر في هزيمة ألمانيا سواء في الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية ، ومما لا شك فيه أيضا أن ألمانيا قد طورت إنتاج الغواصات كسلاح بحري إلى حد كبير.

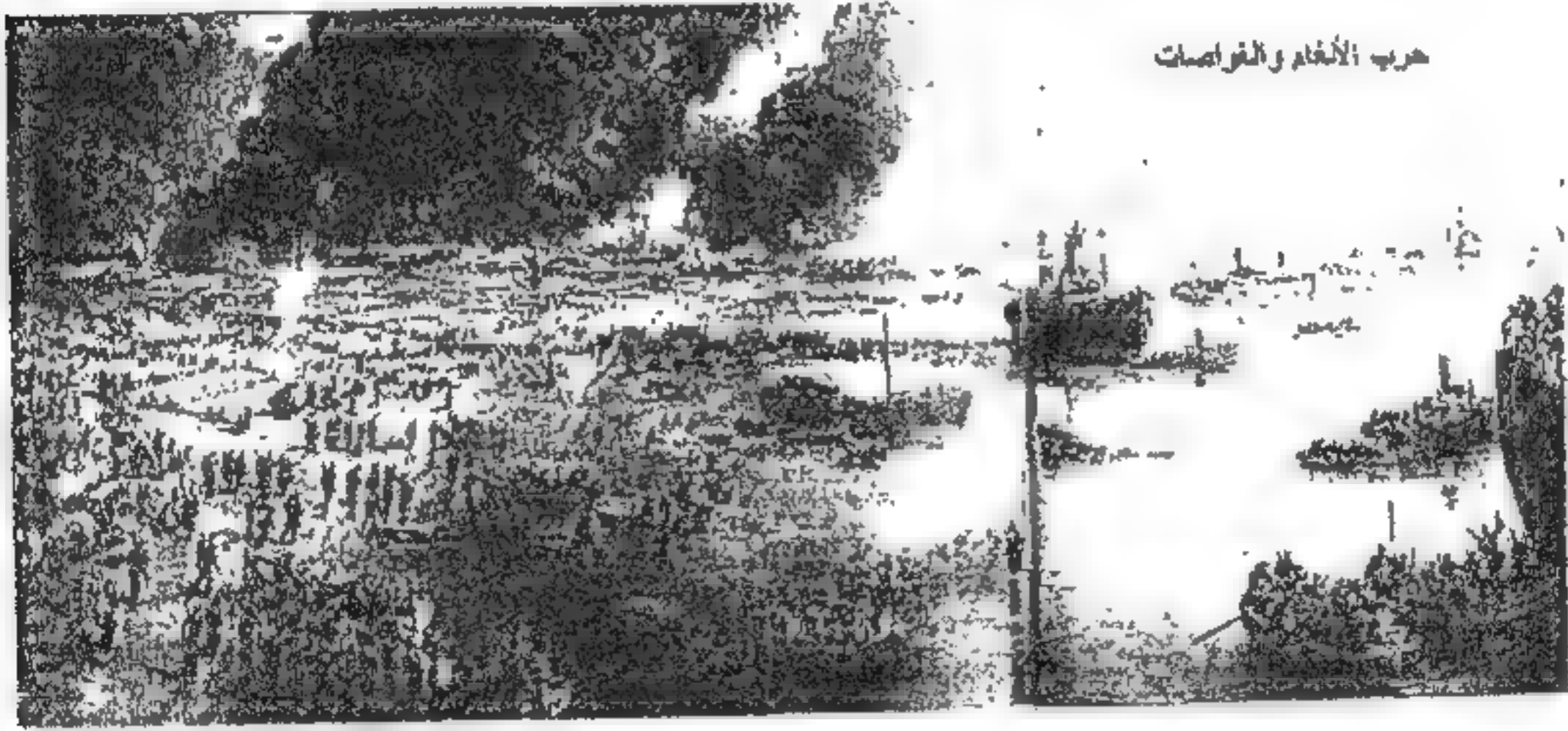




## حرب الألغام والغواصات (1939م)

في يوم 3 سبتمبر سنة 1939م أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا عندما ازدادت أطماع هتلر التوسعية في وسط وشمال غرب أوروبا بعد احتلاله تشيكوسلوفاكيا وبولندا وهولندا.

وكانت بريطانيا تعتمد أساسا على تفوق أسطولها البحري الذي كان يكفل لها السيطرة في مياه الأطلسي والمتوسط وغيرها من مياه البحار ، أما ألمانيا فلقد كان أسطولها البحري حديث التكوين ، محدود العدد بموجب معاهدة فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى في سنة 1919م. ولذلك اعتمدت ألمانيا على التوسع في حرب الغواصات إذ لم تكن تستطيع القضاء على الأسطول البريطاني فوق سطح مياه البحار.



حرب الألغام والغواصات

وبعد عشر ساعات من إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا انفجرت سفينة النقل الإنجليزية "أثينيا" التي كانت حمولتها 13500 طن وهي في طريقها إلى نيويورك وتم إغراق 112 ضحية بينهم 28 أمريكيا.

ووجه الألمان إصبع الاتهام نحو تشرشل متهمين إياه أنه هو الذي أصدر الأوامر بإغراق السفينة "أثينيا" مع علمه بوجود مسافرين أمريكيين على



منتها وذلك بهدف إدخال الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب مع الحلفاء ضد ألمانيا محاكاة لما حدث في أواخر الحرب العالمية الأولى . ونفى تشرشل الذي كان يشغل منصب وزير البحرية البريطانية هذا الاتهام بشدة ، ولكن إنكار تشرشل كان يفتقر إلى الدليل . ولقد اتضح بعد ذلك أن الغواصة الألمانية " O 30 " بقيادة الليفتنانت الألماني "مب" هي التي كانت قد أغرقت الباخرة الإنجليزية "أثينيا".

ولم يمض يومان على إغراق السفينة الإنجليزية "أثينيا" حتى تم إغراق السفينة الإنجليزية "روبال سبكتسر" ، وأعلن قائد الغواصة الألمانية "O 30" الليفتنانت الألماني "هربرت شولتزي" أنه قد أغرق السفينة الإنجليزية وأرسل برقية إلى الأدميرالية البريطانية يخطر ونستون تشرشل بمكان إغراق السفينة "روبال سبكتسر" ويطلب منه محاولة إنقاذ ركبائها من الغرق.

وهكذا بدأت الحرب البحرية بين ألمانيا وبريطانيا ، وكان يبدو بوضوح أن ألمانيا تعتمد استراتيجية حرب الغواصات ضد السفن الحربية والتجارية البريطانية على حد سواء . ألم تعلن بريطانيا الحرب على ألمانيا ؟ أما وقد أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا فلتتحمل بريطانيا نتائج إعلانها الحرب على ألمانيا . ستغدو كل قطعة بحرية حربية أو تجارية هدفا لسلاح الغواصات الألماني الذي كانت ألمانيا تعتمد عليه لتقليم أظافر الأسطول البريطاني الممتد فوق بحار العالم ، إذ أن ألمانيا كانت تترك أن الحرب العالمية الثانية قد بدأت وقواتها البحرية أعجز ما يكون عن مواجهة الأسطول البريطاني المتفوق فوق سطح مياه البحار ، ومن هنا اتجهت ألمانيا إلى الاعتماد على الغواصات للحد من تأثير الأسطول البريطاني.

لم تكن البحرية الألمانية تملك سوى ثلاث بوارج صغيرة هي : أدميرال جراف ، وأدميرال شير ، ودويتشلاند ، وتزن كل منها عشرة آلاف طن طبقا لنصوص معاهدة فرساي . وقامت ألمانيا ببناء طرادين كل منهما 26 ألف طن هما : الطراد "شارنهورست" والطراد "جنارناو" كما قامت ببناء طراد ثقيل هو

الطراد "برنتر أوجين" ، كما قامت ألمانيا ببناء 22 مدمرة وبارجتين هما "بسمارك" والبارجة "تيربيتز" زنة 35 ألف طن.

وكان إنتاج ألمانيا للغواصات قد بدأ على يد الأدميرال الألماني "كارل دونيتز" عام 1935 بإنتاج ثلاث غواصات . وبعد أربع سنوات كان عدد الغواصات الألمانية قد وصل إلى سبع وخمسين غواصة.

أما الأسطول البريطاني عند بداية الحرب العالمية الثانية فلقد كان يتألف من أفضل 13 سفينة قتال في الحرب العالمية الأولى ، وحولت بريطانيا باقي السفن الحربية إلى سفن تجارية ، ولم تظهر البوارج الحربية البريطانية من طراز "الملك جورج الخامس" إلا في عام 1941 . وكان لدى بريطانيا ست حاملات للطائرات.

وبالنسبة للقطع الحربية البحرية البريطانية الخفيفة كان لدى بريطانيا (15) طرادا فئة (8) بوصات ، و (49) طرادا فئة 6 بوصات ، و (184) مدمرة ، مع بقاء 38 سفينة شراعية بريطانية مسلحة مملوكة للأسطول البريطاني.

وكان الأسطول البحري الإيطالي حديث الإنشاء ويتألف من أربع بسوارج جديدة هي : "فيتوريو فينيتو" و "ليتيوريو" حمولة 35 ألف طن ، وسبع طرادات ثقيلة ، و ١٢ طرادا خفيفا ، و ٥٩ مدمرة ، و ٦٩ زورقا لأعمال النسف البحري ، و (205) غواصات . وحيث إن إيطاليا قد تحالفت مع ألمانيا بعد تردد فمن الممكن اعتبار الأسطول الإيطالي في حالة حرب ضد الأسطول البريطاني والفرنسي ، وكان الأسطول الإيطالي شبه مجمد لم يسمح له موسولينى بأي نشاط بحري يذكر .

وكان الأسطول الفرنسي يتألف من 3 بوارج قديمة وسفینتين حربيتين فئة 26 ألف طن هما "دانكرك" و "ستراسبورج" . وكانت فرنسا تمتلك أيضا 18 طرادا ثقيلًا.

وعند بداية الحرب العالمية الثانية كانت السفن البريطانية تتعرض بطريقة غامضة للتدمير والإغراق في أماكن متفرقة من البحار ، ووصل الأمر إلى حد تدمير ست سفن بريطانية دفعة واحدة في مصب نهر التيمز نفسه ، وكذلك تعرضت البارجة الضخمة نيلسون لعملية تفجير ألحقت بها أضراراً جسيمة. وعندئذ دخل الأميرال السير "داللي باوند" على تشرشل في مكتبه وقال له بغضب : "إن الألمان يملكون سلاحاً سرياً خطيراً يكاد يقضي على سفن الأسطول الإنجليزي ومن المستحيل تكليف السفن الإنجليزية بأى مهام ما لم يتم التوصل إلى اكتشاف هذا السلاح ومعرفة حقيقةه".

ولم يلبث السر الألمانى أن انكشف من تلقاء نفسه ، إذ إنه في يوم 22 نوفمبر سنة 1939 أسقطت المدفعية البريطانية المضادة للطائرات طائرة ألمانية كانت تفرغ حمولتها ، وهى عبارة عن أجسام صلبة كبيرة الحجم عند "ساوث إند" في مدخل نهر "التيمز" ، وبعض هذه الأجسام التي كانت الطائرة الألمانية تسقطها لم يختف في الماء بل غاصت بعض هذه الأجسام في أحوال وطمى الشاطئ وأمكن لخبراء المتفجرات الإنجليز التقاطها وإبطال أجهزة التفجير فيها، وتم على الفور فحصها ليتم اكتشاف سر الانفجارات التي كانت تدمر السفن البريطانية دون اقتراب أي سفن أو غواصات ألمانية منها . كانت الأجسام الضخمة الغريبة "الألغام مغناطيسية" سليمة لم تنفجر ، وكانت الطائرات الألمانية تلقي بها في المناطق البحرية التي يحتمل وجود أو مرور السفن الإنجليزية بها . ولما كانت أجزاء من السطح الخارجي في غاطس السفن من حديد فيه مغناطيسية ، وكانت الألغام ذاتها ممغنطة إلى حد كبير فلقد كانت الألغام الضخمة الشديدة الانفجار تفتك بالسفن الإنجليزية وتثير الذعر في قلوب رجال الأسطول البريطاني على نطاق واسع . واتخذت بريطانيا الإجراءات اللازمة على الفور لإبطال مفعول الألغام المغناطيسية الألمانية . واعتمدت ألمانيا بعد ذلك اعتماداً رئيسياً على حرب الغواصات لتقليل أضرار الأسطول البريطاني والحد من سيطرته البحرية.

وبدأت حرب الغواصات الألمانية ضد الأسطول البريطاني بضراوة وشراسة كما لو كانت ألمانيا قد أزمعت القضاء على الأسطول البريطاني كله بالاعتماد على حرب الغواصات . كانت ألمانيا بالفعل تهدف إلى تجميد نشاط الأسطول البريطاني الحربي والتجاري عن طريق حرب الغواصات . ولحماية السفن التجارية كانت تصاحبها البوارج الحربية والطرادات والقوارب المسلحة . وبالرغم من كل هذه الاحتياطات البريطانية لسلامة النقل البحري التجاري بدأ تدمير السفن في هذه القوافل التجارية يتلاحق . وبلغ عدد السفن التي دمرتها الغواصات الألمانية في شهر سبتمبر عام 1939م إحدى وأربعين سفينة. وتم تدمير 27 سفينة في شهر أكتوبر 1939. وتم تدمير 25 سفينة في شهر ديسمبر 1939 ومعنى ذلك أن الغواصات الألمانية قد قامت بتدمير ما مجموعه 114 سفينة حمولة 420 ألف طن خلال الأربعة أشهر الأخيرة من عام 1939. ولم يقتصر التدمير على السفن التجارية أو الحربية الصغيرة ، بل تعداها إلى السفن الحربية البريطانية الضخمة مثل حاملة الطائرات "كوريموس" التي دمرتها الغواصة " O29 " بقيادة الكوماندانت الألماني "شوهارت".

وفي 14 أكتوبر 1939م دمرت الغواصة الألمانية ( O 47 ) بقيادة اللفتنانت "جونتر برين" البارجة الإنجليزية "رويال أوك" وأغرقتها في خليج "سكاباقلو" وغرق بداخلها 24 ضابطا و 809 بحارة بريطانيين.

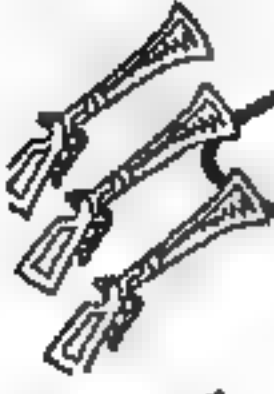
وعملت بارجتان ألمانيتان على تدمير السفن الحربية والتجارية في المحيط الأطلسي وهما البارجتان "جراف شي" و"دويتشلاند" . وكانت البارجة الأولى تعمل شمال المحيط الأطلسي بينما كانت الثانية تعمل جنوب الأطلسي وكانت كل منهما مزودا بمدافع عيار (11) بوصة.

وصممت البحرية البريطانية على ضرورة تدمير هاتين البارجتين الألمانييتين . وتم تخصيص أسطول بريطاني يتكون من بوارج وطرادات وحاملات طائرات للبحث على كل من المدمرتين الألمانييتين وتدميرهما. وتمكن الأسطول البريطاني بعد عناء طويل من العثور على البارجة الألمانية "جراف

شيء "بقيادة" لانجسدورف" إذ واجهتها ثلاث قطع حربية بريطانية بقيادة  
الأميرال "هاروود" وانضمت إليه أيضا السفينة "كميرلاند" بالقرب من "بورت  
ستانلي" واضطر "لانجسدورف" إلى اللجوء إلى ميناء "مونتفيدو" لإصلاح  
الأضرار التي لحقت بالبارجة الألمانية وتم حصاره في هذا الميناء بحيث كان  
خروجه من الميناء يعني تدمير البارجة المحاصرة . وكان هتلر يريد من  
"لانجسدورف" أن يغرق البارجة الألمانية بكل بحارتها بحيث لا يستسلم  
محاربون ألمان للإنجليز إلا أن "لانجسدورف" رفض تنفيذ أوامر هتلر ، وأخلي  
السفينة من كل البحارة ثم قام بتدميرها عند "مونتفيدو" يوم 17 ديسمبر  
1939م ثم انتحر هو نفسه في نفس اليوم . وربما كانت هذه الحادثة لها أثر  
كبير في صرف اهتمام هتلر عن الحرب البحرية ضد بريطانيا وتركيزه على  
الحرب البرية والحرب الجوية ، لتظل بريطانيا طوال سنى الحرب العالمية  
الثانية كما كانت قبل أعوام الحرب العالمية الأولى وما قبلها هي سيدة البحار ،  
وخصوصا بعد أن ألحقت البحرية البريطانية خسائر فادحة بالأسطول الألماني  
الذي حاول غزو النرويج والسويد ، إذ خسرت ألمانيا عشر مدمرات في ميناء  
نرفيك ، وفي يوم 15 أبريل 1940م لم يبق من الأسطول الألماني سوى 4  
مدمرات من أصل 22 مدمرة . وهكذا فقد هتلر معظم أسطوله البحري في  
محاويلته الحصول على الحديد من السويد عن طريق النرويج.







## بيل هابر (1941)



عندما لاحظت اليابان مستعمرات إنجلترا وفرنسا في الهند الصينية وفي بلاد الصين نفسها قررت أن تحصل على نصيبها من المغانم الصينية ، ونشبت الحرب بين اليابان والصين عام 1894 و 1895 ، وألحقت اليابان هزيمة ساحقة بالصين وفرضت عليها القبول بشروط معاهدة "شيمنسكي Shimenseki" تخلت الصين بموجبها عن كوريا وعن جزيرة فورموزا وعن شبه جزيرة ليسوتانج بما في ذلك ميناء بورت آرثر.

وكانت روسيا تتطلع إلى الاستيلاء على ميناء بورت آرثر بالذات ؛ لأنه يمتاز بالمياه الدافئة طوال السنة وهي ميزة غير متاحة للموانئ الروسية في شمال المحيط الهادي.

وإزاء اعتراض روسيا وفرنسا على احتلال اليابان لميناء بورتسموث اضطرت اليابان إلى التخلي عن هذا الميناء على أساس أن تعود السيطرة عليه إلى الصين ، إلا أن روسيا هاجمت الصين واستولت على منشوريا وهددت باحتلال كوريا واستولت على ميناء بورت آرثر فنارت نائرة اليابان وقامت الحرب بين البلدين اعتبارا من شهر فبراير سنة 1904 ، وألحقت اليابان بالسفن الحربية الروسية في شمال غرب المحيط الهادي خسائر فادحة قضت على أي وجود بحري روسي في المحيط الهادي وأعادت احتلال ميناء بورت آرثر.

وحاولت روسيا تأديب اليابان فعمدت إلى تحريك الأسطول الروسي في بحر البلطيق وبحر الشمال لمواجهة الأسطول الياباني والقضاء عليه إلا أن الأسطول الياباني حطم ودمر الأسطول الروسي في معركة تسوشيما سنة 1905 م ، واضطرت روسيا إلى التوقيع على معاهدة بورتسموث في ديسمبر سنة 1905م وبموجبها اعترفت روسيا بسيادة اليابان على ميناء بورتسموث ونصف جزيرة سخالين وكوريا الجنوبية ، وجلا الروس عن منشوريا.

ومنذ ذلك الحين أصبح للأسطول الياباني السيادة والسيطرة في شمال المحيط الهادى ، وازدادت أطماع اليابان في بلاد الصين وكوريا والهند الصينية وأندونيسيا والفلبين وماليزيا ، وتوغلت أساطيلها وقواتها البرية في هذه البلاد نظرا لانتهاء فرنسا في مطلع الحرب العالمية الثانية ، وانشغال بريطانيا بالحرب في المحيط الأطلسي وأوربا . وكان من الطبيعي أن تشعر الولايات المتحدة الأمريكية وهي تطل أيضا على المحيط الهادى بالقلق من التوسع الياباني فقامت بفرض حصار اقتصادي على اليابان ، وأسهم في هذا الحصار كل من بريطانيا وفرنسا.

وحاولت اليابان التفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية نظرا لإمكانات الولايات المتحدة الأمريكية الضخمة التي لم تكن اليابان ترغب في أن تتحداها، وحاول إمبراطور اليابان وولى العهد الأمير "كونوي" والسفير الياباني لدى أمريكا "تومورا" ولكن أمريكا كانت تضع شرط انسحاب اليابان من جنوب شرق آسيا والهند الصينية وأندونيسيا لرفع الحصار التجاري عن اليابان . وأصبح السؤال لدى اليابانيين هو: هل نخنتق ولا نحصل على ما يلزم من بترول ومواد ضرورية أم نتخلى عن مكاسبنا التي حصلنا عليها بالحرب المريرة والتضحية بالمال والأرواح والمعدات طوال سنوات في جنوب شرق آسيا والهند الصينية؟

حددت اليابان شروطها أثناء المفاوضات مع الولايات المتحدة بحيث لا تتدخل أمريكا ولا بريطانيا في النزاع الصيني الياباني ، وعدم تخلى اليابان عن مستعمراتها في جنوب شرق آسيا ، وعدم فرض حصار تجاري أمريكي بريطاني فرنسي على اليابان.

وحاول الإمبراطور الياباني تعزيز الجهود الدبلوماسية للوصول إلى هذه المطالب اليابانية فعزز السفير الياباني "تومورا" بجهود دبلوماسية ياباني معروف بميوله نحو صداقة أمريكا وهو الدبلوماسي الياباني "سابورا كورسو" الذي كان متزوجا من أمريكية وكان يحظى بثقة الأمريكيين.

ورفضت أمريكا المطالب اليابانية ، وانتصرت وجهة نظر القادة اليابانيين الذين كانوا يرون ضرورة الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان الأميرال "يسوروكو ياما موتو" يدرك أن مخزون البترول في اليابان لا يكفي لأكثر من عام واحد ، وكان يعتقد إزاء فشل المفاوضات السلمية مع أمريكا أن اليابان تستطيع أن تحصل بالقوة على كل أهدافها عندما تتمكن من الاستيلاء على هونج كونج وماليزيا وسنغافورا وسومطرة وبورنيو وجاوا . وعندئذ تستطيع اليابان أن تحصل على كل مطالبها من المواد الخام كالبنترول والمطاط والحديد والقصدير عندما يفتح لها العالم على هذا النحو . وماذا يحول دون أن يتحقق لليابان ذلك ؟

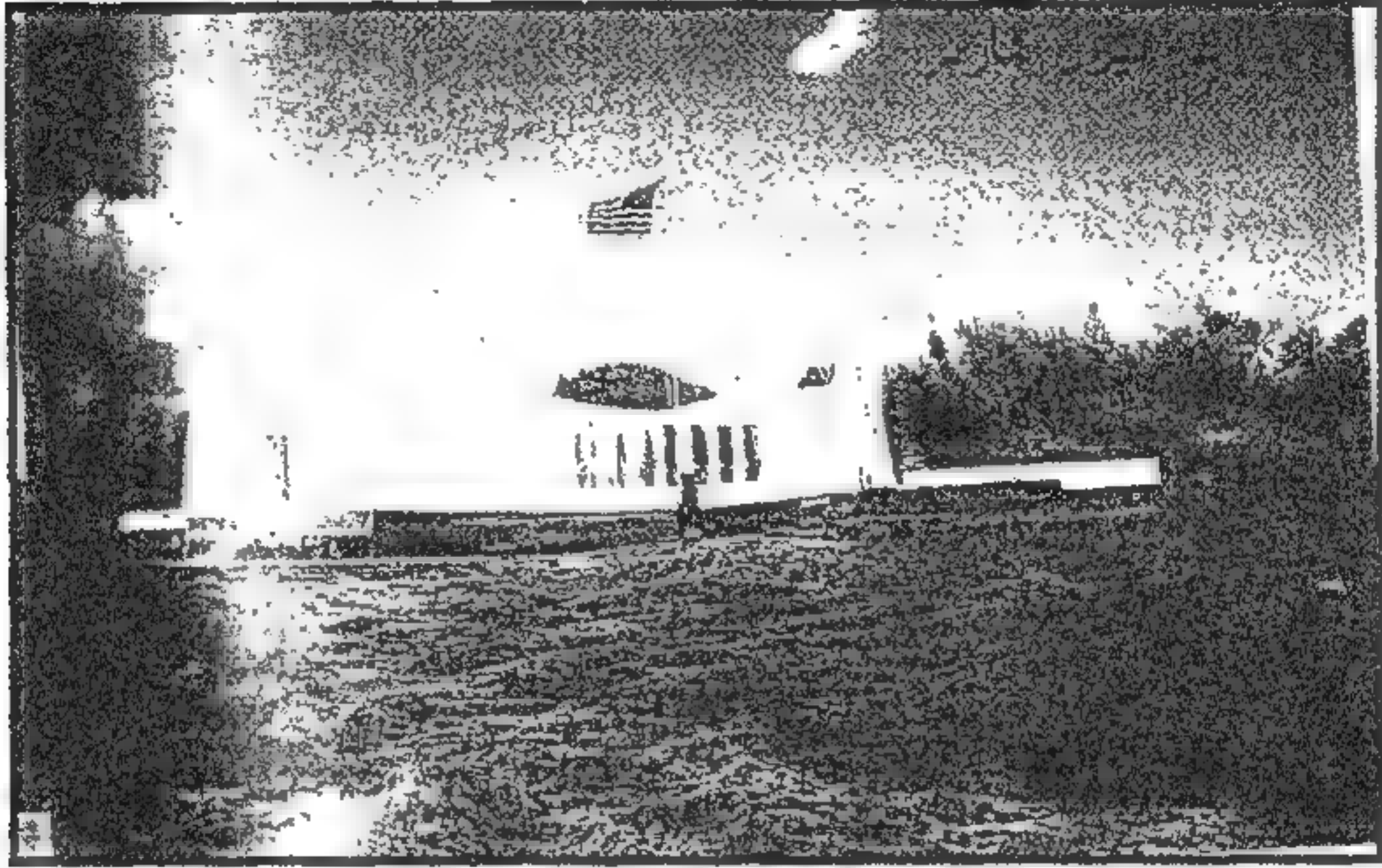
هل يحول الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي دون أن تحقق اليابان هذه الأهداف ؟ وكانت وجهة نظر الأميرال "ياما موتو" تتلخص في أن تدمير الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي ممكن لليابان كما استطاعت اليابان تدمير الأسطول الروسي في معركة تسوشيما سنة 1905م ، ولو تمكن الأسطول والسلاح الجوي الياباني من ذلك ستحتاج الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما لا يقل عن ثلاث سنوات لبناء أسطول أمريكي جديد.

ولقد كانت البحرية اليابانية من أحدث وأقوى الأساطيل البحرية في العالم، وكانت تضم عشر بوارج ضخمة وعشر حاملات طائرات عملاقة ، و ٣٥ طرادا حربيا كبيرا ، و ٦٤ غواصة . وكان الأسطول الياباني يمتلك أقوى وأكبر سفينتين في العالم وهى السفينة "ياماتو" والسفينة "موساشي".

وبعد التدريب التام على عملية سحق الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر بالمحيط الأطلسي تحدد يوم الأحد ٧ ديسمبر سنة 1941م لتنفيذ هذا الهجوم. وقد فضل اليابانيون يوم الأحد لبدء الهجوم على اعتبار أن الأمريكيين يعتبرون بعد ظهر يوم السبت ويوم الأحد عطلة نهاية الأسبوع وينصرفون في الغالب الأعم إلى الراحة والاسترخاء.

واستمر اليابانيون في مواصلة المفاوضات السياسية مع الولايات المتحدة

الأمريكية كجزء مهم من التموية على الاستعدادات اليابانية لتدمير الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور.



تبعد "بيرل هاربور" عن جزيرة "هونولولو" مسافة 15 كم ويفصل بينها وبين جزيرة فورد أيلند خليج ضيق يبلغ عرضه أقل من نصف كيلومتر. والمياه في هذا الخليج ليست عميقة بطبيعة الحال.

وكان الهجوم الياباني على الأسطول الأمريكي متوقعا بسبب تعثر المفاوضات ، وتمسك كل من اليابان وأمريكا بشروطهما دون تقديم أي تنازلات. وبعث وزير الخارجية الياباني برقية إلى السفير الياباني في الولايات المتحدة تومورا وزميله "سابورا كيروسو" يقول لهما بالحرف الواحد: "لقد قمنا بجهود كبيرة في مهمتنا كسفيرين لحكومة اليابان إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تمسكت بشروط مذلّة ومهينة وضارة باليابان. لقد انتهت المفاوضات ، تصرفا كأن شيئا لم يكن وانتظرا تعليمات أخرى . " وعندما علم الأمريكيون بوصول هذه البرقية شعروا أنها بمثابة إعلان حرب على الأسطول الأمريكي في المحيط

الهادي بوجه عام ، وفي بيرل هاربر حيث تتجمع معظم القوة الضاربة للأسطول الأمريكي بوجه خاص.

وفي صباح يوم 7 ديسمبر 1941م كان قائد الأسراب الياباني "ميتسوو فوشيدا" يقود 143 طائرة منها 43 طائرة مقاتلة من طراز "زيكي" ، و ٥١ قاذفة من طراز "فال" ، و ٤٠ طائرة حاملة طوربيدات من طراز "كاتي" ، و ٤٩ طائرة أخرى من طراز كاتي ولكنها قاذفة أفقية ، وانقضت الطائرات اليابانية لتدمر على الفور سبع بوارج أمريكية في دقائق معدودة ، ولتدمر معها السفينة الضخمة "أوكلاهوما" ، وعادت الطائرات اليابانية لأراجها سالمة لكي تفسح الطريق لموجة أخرى من الطائرات اليابانية يقودها الليفتنانت كوماندر "شيمازاكي" ، وتتألف من 171 طائرة ، ولكن الدخان المتصاعد من سفن الأسطول الأمريكي المشتعلة كان يعوق عمل طائرات هذه الموجة الثانية من الطيران الياباني ، كما أن المدفعية المضادة للطائرات بدأت في إطلاق قذائفها نحو سماء الطائرات اليابانية المغيرة . وتمكنت الموجة الثانية من الطائرات اليابانية من تدمير حاملات الطائرات الأمريكية ومن إغراق السفينة الأمريكية "أوكلاهوما" وثلاث سفن أخرى هي "تنيسي" و"وست فرجينيا" و "أريزونا" ، وشبت النيران أيضا في البارجة "تيفادا" وفي "بنسلفانيا".

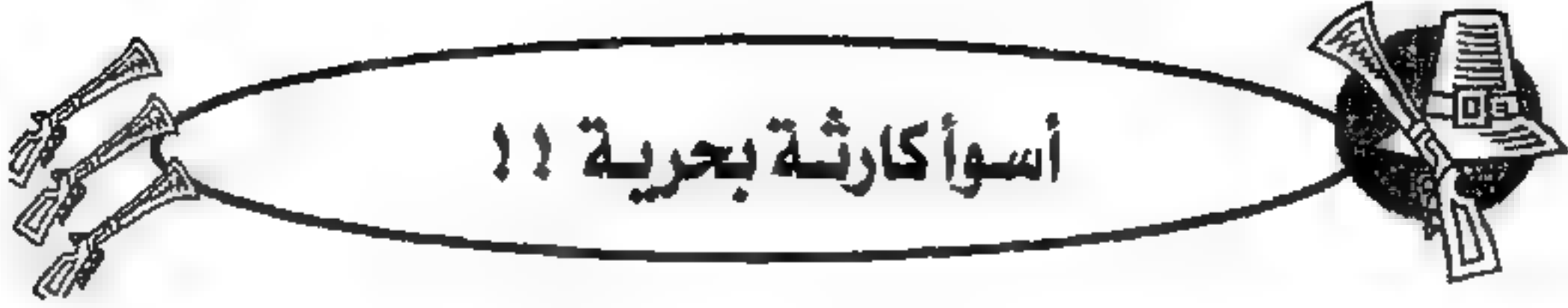
وعلى أثر النجاح الياباني التام في تدمير الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر نشطت آلة الحرب اليابانية في احتلال جزيرة ميدواي وجوام ، كما نزل الجنود اليابانيون في سيام وماليزيا وبورنيو والفلبين ؛ أي أن اليابان قد اعتبرت أن نجاحها في بيرل هاربر كفيل بأن يفتح لها باب الغزو والتوسع العسكري في جنوب شرق اسيا لتحقيق كل أهدافها ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت الحرب على اليابان بإجماع الآراء في الكونجرس الأمريكي عدا صوت واحد هو صوت نائبة عجوز كانت قد اعترضت أيضا على دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى.



واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تبني أسطولاً بحرياً قوياً على أحدث طراز في وقت وجيز ، كما أن إنتاج الطائرات الحربية الأمريكية كان إنتاجاً غزيراً ، وأخيراً حسمت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في المحيط الهادي عندما أنتجت القنبلة الذرية وألقت القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما اليابانية يوم 6 أغسطس عام 1945م لكي تنتهي بذلك الحرب العالمية الثانية بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

ومن الغريب - وهو جدير بالتأمل - أن اليابانيين والألمان بعد هزيمة كل منهما في الحرب العالمية الثانية ، وبعد إلقاء السلاح والكف تماماً عن أي نشاط عسكري قد صادف نجاحاً اقتصادياً باهراً جعل كلا من اليابان وألمانيا قوة اقتصادية كبرى.





## أسوأ كارثة بحرية ١١

نعم إنها أسوأ كارثة بحرية "راح ضحيتها نحو تسعة آلاف قتيل" إنها كارثة غرق السفينة "ويليهام جوستلوف Wilhelm Gustloff" في خليج "دانزج" ... كانت حمولة السفينة أكثر من خمسة وعشرين ألف طن ، وعلى متنها ما بين أربعة آلاف وتسعة آلاف من اللاجئين .. غرقوا جميعا .. وهذه كارثة ليس لها مثيل من قبل في التاريخ !!

ولكن لماذا لم يشتهر أمر هذه الكارثة ؟

لقد غطى ضجيج الحرب العالمية الثانية على هذه المأساة المفجعة ، فمرت وكأنها حدث عادي في هذا الوقت ..

فكيف بدأت المأساة ؟

يقول الأستاذ / جمال الكاشف في كتابه "مقتطفات من تاريخ العالم" :

تبدأ مأساة هذه السفينة ببداية تراجع قوات هتلر عام 1944 .. كانت معركة "بولج" هي أمل هتلر الأخير في أن يبقى زمام المبادرة في يده ، وعندما خسرت القوات النازية هذه المعركة أمام القوات الروسية الزاحفة على بولندا ، الأمر الذي مهد لها احتلال وارسو في يناير عام 1945 ، مما اضطر معه الألمان المندحرون إلى إخلاء المناطق المهددة من قبل الحلفاء في أسرع وقت ممكن ..

وبناء عليه اجتمع الفوهرر بقائد الأسطول الألماني في ذلك الوقت ، أمير البحر "كارل دونيتز" وأسفر الاجتماع عن قرار بتخصيص السفن الحربية الاحتياطية التي لم يعد لها احتياجات استراتيجية لعمليات نقل اللاجئين الألمان إلى الأماكن الآمنة ، ومن بين السفن التي وقع عليها الاختيار لإجلاء الألمان بالسرعة الممكنة كانت السفينة "ويليهام جوستلوف" ، والتي بنيت لنقل الركاب،

وتم إنزالها إلى البحر قبل بدء الحرب العالمية الثانية بوقت قصير ، إلا أن ضغط مقتضيات الحرب أدى إلى استعمالها في عمليات نقل الجنود .

في أواخر عام 1944 كانت أوضاع الجيش الألماني في بولندا متردية للغاية ، تسير من سيئ لأسوأ ، كما أصبح عدد كبير من عمال بناء السفن الحربية في بولندا مهددين بالأسر إذا لم يتم إخلاؤهم بأقصى سرعة !!

وفي يوم من أشد الأيام زمهريًا ، وفي أواخر يناير عام 1945 تمت عملية تحميل السفينة .. صعد على متنها نحو أربعة آلاف من أمهر رجال بناء السفن ، من مهندسين وعمال ، وعدة آلاف أخرى من الألمان الشرقيين ، ثم أبحرت السفينة "ويليهام جوستلوف" من ميناء "جداينا" البولندي.

وبعد أن اختفت في عرض البحر ، وبعد نحو ساعتين من إبحارها ، أصيبت السفينة بقذيفة طوربيد بحرى أطلقتها غواصة سوفيتية من طراز S-30-13 ، مما أصاب السفينة إصابة مباشرة ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت السفينة تأخذ طريقها حثيثًا نحو قاع البحر ، بمن عليها من الركاب !!

في 18 فبراير ، سمع العالم لأول مرة مأساة تلك الباخرة من محطة إذاعة راديو فنلندا ، وكان بيانًا مقتضبًا ، أفاد بأن الباخرة "ويليهام جوستلوف" ، قد غرقت ، وقدر ضحاياها بحوالى 7700 شخص.

وبعد يومين من إذاعة النبأ صدر عدد 20 فبراير من صحيفة "سيفنسكا داجبيادت" التى كانت تصدر فى مدينة ستوكهولم ، وفيه تقرير عن الحادث ، جاء فيه أن 945 شخصًا بقوا على قيد الحياة ، قرروا جميعًا أن السفينة كانت تحمل نحو عشرة آلاف شخص راحوا طعامًا للأسماك ، ولم ينج منهم سوى هؤلاء !!

كذلك ذكرت "نيويورك تايمز" فى عددها الصادر فى 19 فبراير عام 1945 أخبارًا قصيرة جدًا عن ذلك الحادث المروع .. والغريب أنه على الرغم من فداحته لم تكتب الصحف والمجلات عنه فى تلك الحقبة من الزمن سوى أسطر قليلة جدًا.

وقد ذكر الباحثون الذين ألفوا كتاب "حوادث العالم التاريخية" أن السفينة المذكورة غرقت في 18 فبراير ، نفس اليوم الذي أذاعت فيه إذاعة فنلندا نبأ غرقها !!

وذكروا أيضا أن ضحايا الحادث بلغ عددهم 4120 غرقا ... وقد تعرض هذا التقدير لنقد كثير .. واتضح فيما بعد أن عدد الضحايا الحقيقي بلغ أضعاف ذلك !

ومما يدعوا إلى الرثاء ، أن حمى الحرب العالمية الثانية التي كانت تجتاح العالم آنذاك ، شغلت الناس عن أن ينزفوا دمة أسف واحدة على ضحايا تلك المأساة ، ومرت وكأنها شيء عادي !!

وهناك كوارث بحرية أخرى راح ضحيتها آلاف القتلى .. منها:

\* غرق السفينة الألمانية "كاب أركونا" في الثالث من شهر مايو من عام 1945 والمحملة بأعداد غفيرة من المعتقلين والذي بلغ عددهم نحو 4650 ، وذلك بعد أن تعرضت للقذف من طائرة بريطانية ، كان ذلك عند ميناء "لوبيك" شمالي ألمانيا ، ببحر البلطيق.

\* وفي نوفمبر من عام 1947 غرقت سفينة صينية وعلى متنها أكثر من ستة آلاف من الجنود المنادين بالاستقلال من منشوريا ، وذلك بالقرب من ميناء "ينجكو".

\* في السابع من عشر من شهر يونيو من عام 1940 غرقت السفينة البريطانية "لانكاستريا" وهي محملة بنحو أربعة آلاف من الجنود ، قبالة مدينة "سان نازير" الفرنسية.

\* في السابع من أبريل من عام 1945 أغرقت السفينة الحربية اليابانية "ياماتو" قبالة جزيرة كيوشو ، وكان على متنها 3033 راكبا.

\* في الثالث من ديسمبر من عام 1948 ، ارتطمت السفينة "كيانجيا" المحملة عن آخرها بنحو ثلاثة آلاف لاجئ ، بلغم ياباني بعيدا عن "ووسونج" الصينية.

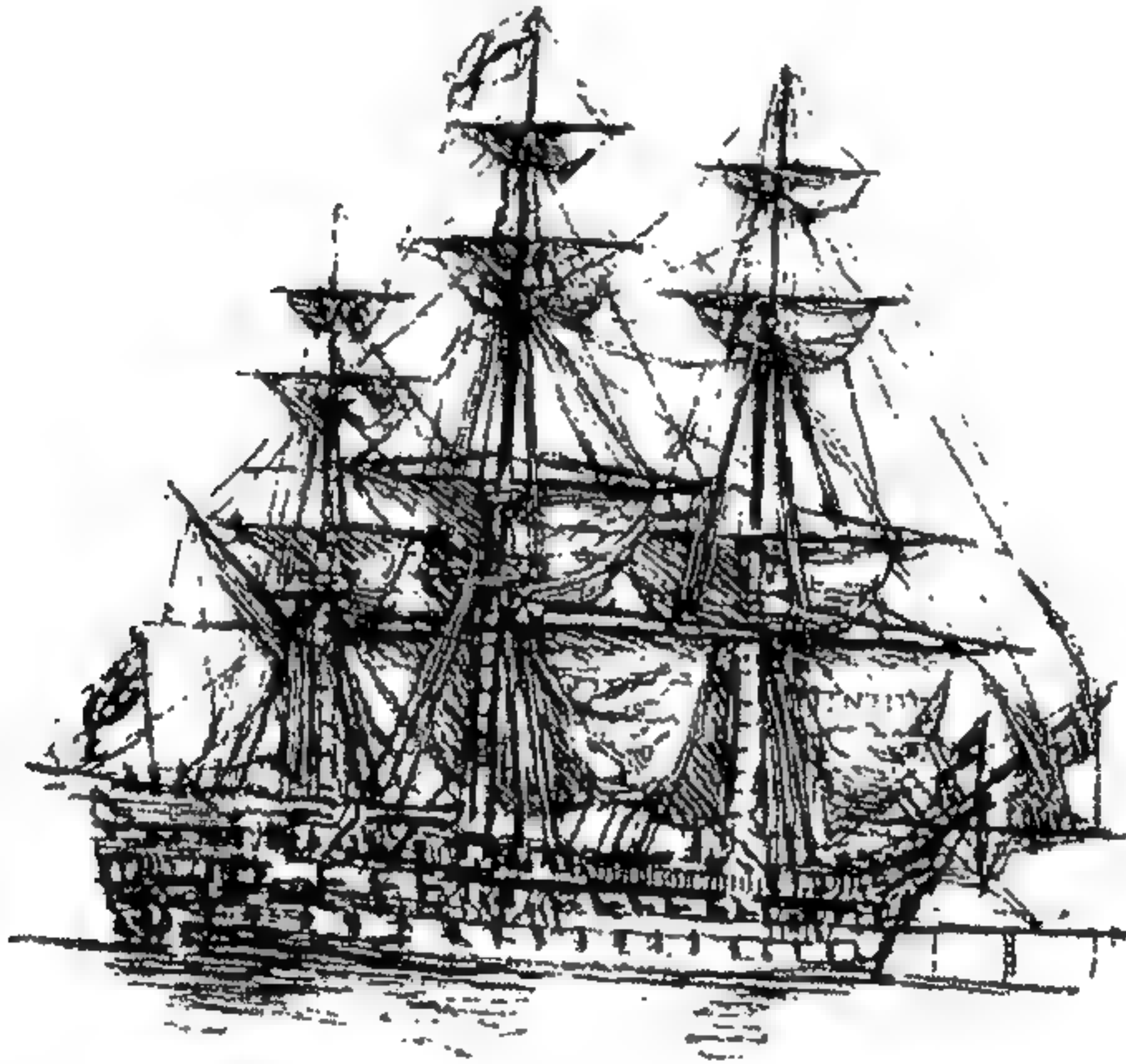
- \* قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات (فى مايو من عام 1945) غرقت السفينة (Thiebeck) للمحملة أيضا بنحو ثلاثة آلاف لاجئ ، وذلك أثناء القذف البريطانى لميناء "لوبيك الألمانى" وذلك قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية.
- \* فى الرابع والعشرين من أكتوبر من عام 1944 تعرضت السفينة اليابانية "أرسان مارو" إلى قصف من طوربيد من البحرية الأمريكية فى بحر الصين الجنوبى .. كانت السفينة محملة بنحو ألفين من الأسرى الأمريكيين.
- \* فى السادس من ديسمبر من عام 1917 ، اصطدمت السفينة الفرنسية "مونت بلاك" المحملة بالذخيرة ، بالباخرة البلجيكية (IMO) ، مما أدى إلى انفجارها فى المحيط الأطلنطى قرابة "هاليفاكس" نوفاسكوشا ، كندا.
- \* وقد شهدت الحرب العالمية الثانية وحدها (1939-1945) غرق 3843 سفينة فى المحيط الأطلنطى وحده بلغ مجموع حمولتها نحو سبعة عشر مليون طن . . وكان شهر يونيو من عام 1942 هو أسوأ فترات تلك الحرب ، إذ فقد فى هذا الشهر وحده 131 سفينة ، حمولتها نحو 655000 طن ، وذلك فى المحيط الأطلنطى وحده ، علاوة على 42 سفينة حمولتها نحو 182000 طن فقدت فى أماكن أخرى من نفس الشهر.



## مستقبل المعارك البحرية

شهدت المعارك البحرية تطورات هائلة في الماضي من القوارب ذات المجاديف، إلى القوارب ذات الشراع ، إلى استخدام معظم وسائل القتال في المعارك البرية من فوق سطح القوارب على سطح المياه.

ولكن اختراع البارود واستخدامه في المعارك كان نقطة تحول مهمة في الحروب والمعارك البحرية . وكما أن دول الشرق والدول الإسلامية لم ترحب



باستخدام البارود في إعداد أسلحة المعارك البرية فهي قد رفضت أيضا استخدام البارود في إعداد ذخائر أسلحة المعارك البحرية مع العلم بأن الرجل الذي اقترح على الملك فرديناند والملكة إيزابيلا في البرتغال لاستخدام البارود

في إعداد ذخيرة أسلحة المعارك البرية كان رجلا عربيا كان قد سافر إلى الصين ووجد أنهم يستخدمون البارود على نحو بدائي في إعداد ذخائر للرمي بها على الأعداء ، وذلك أن العرب لم يرغبوا في التخلي عن أسلحة الحرب التقليدية آنذاك المتمثلة في امتطاء الخيول وامتشاق السيوف والرماح، والرمي بالنبال مما اضطر الرجل إلى العبور إلى البرتغال حيث اهتم الملك فرديناند والملكة إيزابيلا بما اقترحه عليهما من استخدام البارود في إعداد ذخيرة يتم رميها على الأعداء لتحدث بهم إصابات جسيمة.

وقد أطلق العرب اسم "البارود" على المادة المتفجرة التي تتكون من نترات البوتاسيوم أو الصوديوم (ملح البارود) مع خلطها بالفحم والكبريت لكي تكون جاهزة للاستخدام في الحرب . وقد ظهرت كلمة البارود أول الأمر عند الشعوب الموجودة بالهند ، ثم انتقلت إلى بلاد المغرب والبرتغال والبلقان. ولكن العرب أهملوا استخدامها وتطويرها وإجراء التجارب للوصول إلى أفضل استخدام لها ترفعا عن استخدام أساليب في الحرب لا تعتمد على الحصان والسيف أساسا مع الأسلحة التقليدية الأخرى المعروفة لهم ولأسلافهم من قبلهم.

وينسب مؤرخو الغرب اكتشاف البارود إلى راهب ألماني يدعى "برتولد شفارتز" اهتم بعمل تجارب على البارود حوالي عام 1354م (755هـ) ، كما يزعم بعض المؤرخين اهتمام "روجر بيكون" الإنجليزي بتصميم بعض التجارب لتطوير البارود ، ويتسع اكتشاف البارود لصنع ذخائر الحرب لكل هذه الآراء دون ريب ، فليس ثمة ما يمنع من إجراء تجارب لتطوير البارود هنا وهناك. وكل ما يلزم إثباته دون شك هو أن بدء اكتشاف البارود قد تم في الصين ، ثم انتقل إلى الهند ، وإلى بلاد العرب وإلى شمال إفريقيا ، وكان العرب يطلقون عليه في البداية اسم "ملح الصين" أو "تلج الصين" باعتبار أن الصين هي مصدره الأول.

وأهم ما يلزم إثباته بشأن البارود هو أن العرب قد عزفوا عن استخدامه في ذخيرة أسلحة الحرب ، وأن دول أوروبا منذ عهد الملك فرديناند والملكة إيزابيلا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، قد أبدت اهتماما كبيرا بتطوير صناعة البارود مما أسهم في تطوير أسلحة الدول الأوروبية ، وأفضى إلى هزيمة العرب في الأندلس وخروجهم منها ، وبدأ التفوق في الميزان العسكري يميل لصالح الدول الأوروبية ، ولكن إدخال البارود في تسليح السفن الحربية كان أشد خطرا وأبعد مدى ، إذ جعل من الميسور على عدد قليل من الملاحين باستخدام البنادق والرصاص أن يسيطروا على شعوب بدائية في أمريكا الشمالية والجنوبية وفي إفريقيا وأستراليا ، كما جعلت الأسلحة النارية لأساطيل الدول الأوروبية اليد العليا في المعارك البحرية.

وكان عصر البخار بعد عصر الفحم تطورا خطيرا وبالغ الأهمية فسي بناء السفن الحربية ، وكذلك اكتشاف المغناطيسية والكهرباء ، ثم الطاقة الذرية ، ثم الصواريخ والألغام والغواصات والقنابل الذرية ، بحيث أصبحت الأساطيل البحرية الحديثة تتحرك بالطاقة الذرية وتستخدم الصواريخ والقذائف الذرية.

وأفضت المعارك الحربية المتتالية في شتى أنحاء البحار إلى تطوير الوحدات الداخلة في تشكيل الأساطيل البحرية التي أصبحت تضم المدمرة Destroyer والفرقاطة Frigate ، والطراد Cruiser ، والغواصة Submarine ، وحاملة الطائرات Carrier ، وأصبحت السفن الحربية تستخدم الطوربيدات الموجهة Homing Torpedo وتحمل قاذفات الصواريخ Missile Firing وغيرها من الأسلحة البحرية.

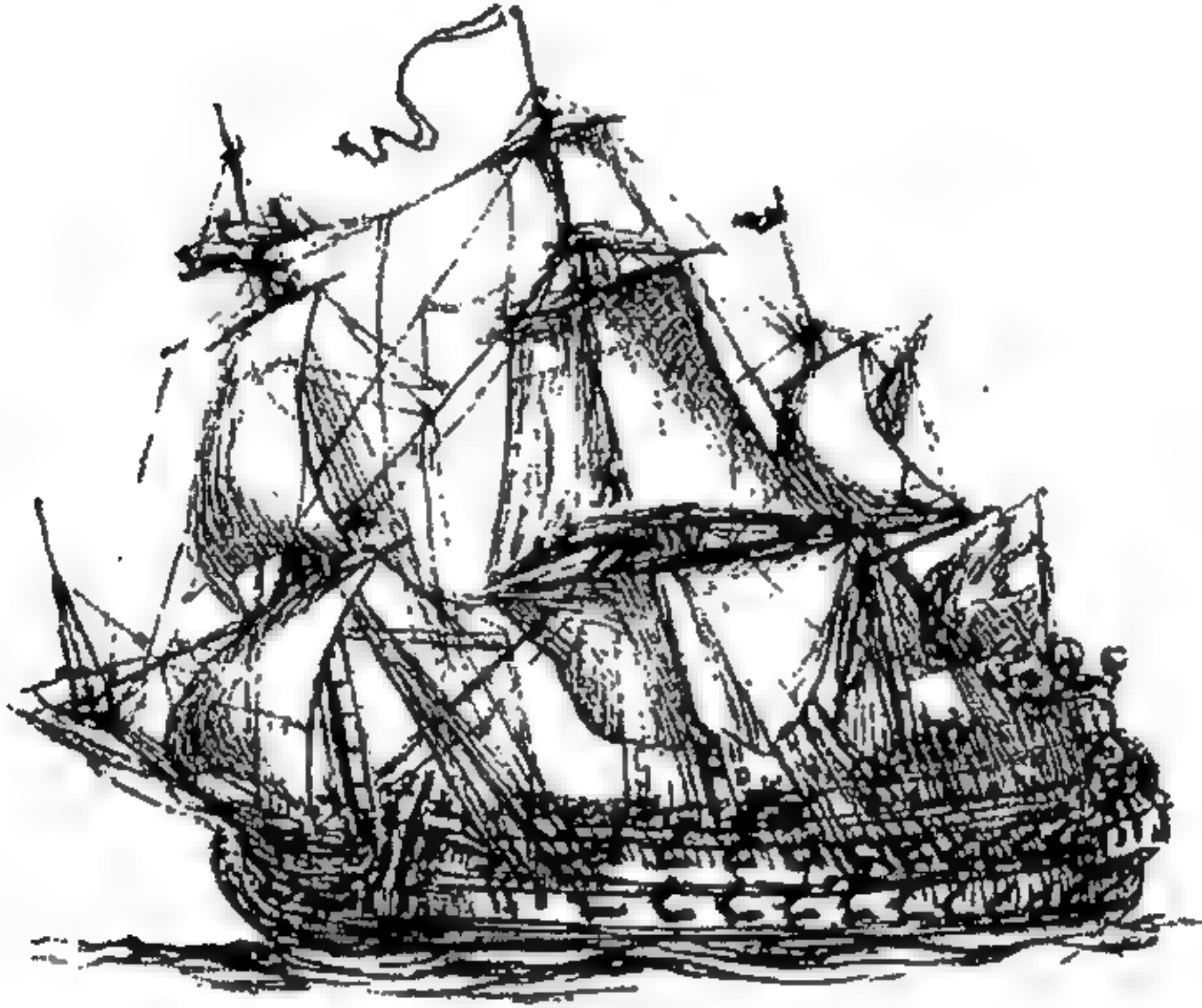
ولقد كان التنافس بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية ودول الأطلسي شديدا لامتلاك أقوى الأساطيل والأسلحة البحرية ، وكان وصول الأسطول

الروسي إلى مياه أي دولة من الدول المحايدة يشكل حدثاً مهماً تراقبه بكل اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في حلف الأطلسي ، كما كانت البحرية الروسية تراقب جيداً كل جديد في أسلحة الأساطيل المملوكة للولايات المتحدة والدول الغربية.

ومنذ وصول جورباتشوف إلى الحكم في روسيا في عام 1985م بدأت مرحلة انحلال وانهيار الاتحاد السوفيتي معلناً انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ، وسرعان ما تساقطت أنظمة الحكم الشيوعية في أوروبا ، في ألمانيا الشرقية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ، وغيرها من دول أوروبا ، دون أن يمنع هذا من احتفاظ روسيا بأسطول بحري قوي ، كما أن روسيا بالرغم من للوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحتفظ بسلحها النووي وصواريخها العابرة للقارات ، وكل ما في الأمر أن روسيا قد بادرت إلى طلب الوفاق والتبادل التجاري والمعونة الاقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية ودول المعسكر الغربي ، مما جعل الصراع القوي يتلاشي بين المعسكر الشرقي بزعامة روسيا والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

ولا شك أن هذا الوفاق بين المعسكرين يتضمن عدم منافسة روسيا للولايات المتحدة أو غيرها من الدول الغربية في أي منطقة خارج نطاق الاتحاد السوفيتي السابق مما جعل للولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة السياسية على جميع دول العالم بحيث لا تستطيع أي دولة أن تتحدى الهيمنة الأمريكية أو العمل ضد المصالح الأمريكية في أي مكان في العالم.

وربما تطلبت هذه الهيمنة الأمريكية ، باعتبار أنها القوة الأعظم بالمقاييس  
المادية العسكرية ، أن تحافظ أمريكا على تفوق أساطيلها البحرية ، وخصوصا  
حاملات الطائرات والأسلحة النووية ، لتكون قادرة على ردع أي دولة تحاول  
التمرد على الهيمنة الأمريكية.

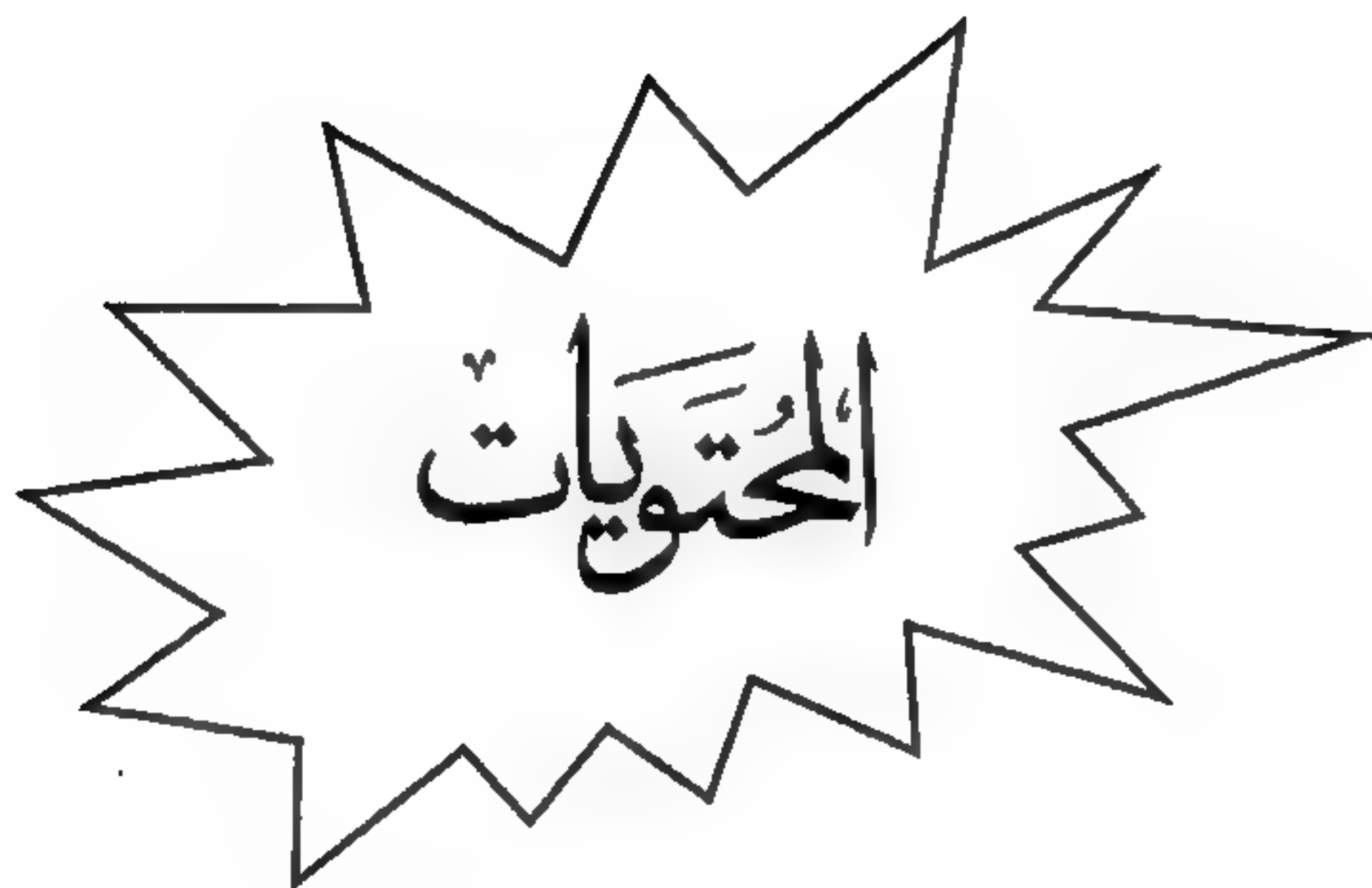




## أهم المراجع

- 1- Great Sea Battle, By: Oliver Warner- Spring Books.
- 2- History of The Second World War, by: Henry Steel Commager, Pocket Book, New York.
- 3- A Dictionary of Modern War, By: Edward Luttwak, Harber of Row, New York.
- 4- The V N R Dictionary of Ships and The Sea, By: John V. Noel, Van Nostrand Reinhold Company.
- ٥- البحر في الاستراتيجية الحديثة - تأليف ل . و . مارتن ترجمة العقيد بحري متقاعد : عبدالحكيم الحاج عناد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
- ٦- الحرب العالمية الثانية - مجموعة من الباحثين - دار الآفاق - بيروت .
- ٧- تاريخ أوروبا المعاصرة - تأليف : محمد عبد الرحيم مصطفى وكامل جرجس - المطبعة الأميرية بالقاهرة .
- ٨- معالم تاريخ الإنسانية - تأليف : هـ . ج . زيلز - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - الألف كتاب .
- ٩- التاريخ الإسلامي العام - تأليف الدكتور على إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .
- ١٠- مقتطفات من تاريخ العالم - تأليف: جمال الكاشف - دار الطلائع بالقاهرة .

- ١١- ماهية الحروب الصليبية - تأليف: د. قاسم عبده قاسم - عالم المعرفة الكويت.
- ١٢- القاموس الإسلامي - تأليف: أحمد عطية الله - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
- ١٣- بونابرت في مصر - تأليف : كريستوفر هيروالد - ترجمة: فؤاد أندراوس - الهيئة العامة للكتاب.
- ١٤- المعارك المصرية على الجبهة المصرية - تأليف : جمال حماد - الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة.
- ١٥- تاريخ العرب - تأليف : دومينيك سودريك - ترجمة الدكتور علي مقلد - المنشورات العربية - بيروت.
- ١٦- موحز تاريخ العالم بالسنوات والأحداث - محمد غريب جودة - مكتبة القرآن بالقاهرة.
- ١٧- علم المحيطات - تأليف كيث سنو - ترجمة الدكتور ت . عناد أحمد - إصدار جامعة البصرة بالعراق.





صفحة	الموضوع
5	البر والبحر والجو
11	من القوى : البحر أم البر
19	موقعة أكتيوم
23	العرب ومعاركهم البحرية
25	معركة ذات الصواري
29	معركة ليبانتو (1571)
33	هزيمة الأسطول الأسباني (1588)
41	معركة ساوند
43	معركة الأيام الأربعة (1666)
50	معركة "أبو قير" البحرية (1798)
57	معركة ترافلجار
60	معركة نفارين البحرية (1827)
65	حرب الأفيون
71	معركة تسوشيما البحرية (1905)
81	معركة جتلاند (1916)
86	حرب الألغام والغواصات (1939)
92	معركة بيرل هاربر (1941)
98	أسوأ كارثة بحرية
102	مستقبل المعارك البحرية
107	أهم المراجع







## هذا الكتاب

قبل أن يدخل سلاح الجو فى الحروب والقتال كانت المعارك البحرية هى مكن الخطورة فى أى نزال ، وذلك لأن الدولة التى تملك السيطرة على البحر يصبح لديها القدرة على الوصول إلى أى موقع وعمل المواجهات المؤثرة التى قد تؤدى إلى احتلال الموقع أو ضرب هدف معين أو تحقيق مصالح من أى نوع !!

ومن ثم استطاعت دول كثيرة أن تفرض سيادتها على العالم من منطلق قوتها فى البحر .

وقد حفلت الحروب البحرية بكثير من المفاجآت والمفارقات التى نتجت عن الخطط الذكية التى عكف على دراستها مجموعات العسكريين فى كل طرف .

ويقدم هذا الكتاب مجموعة كبيرة من المعارك البحرية التى كان لها أثر كبير على تغيير مجرى التاريخ فى كثير من المناطق فى العالم ، وكيف تمكنت دول مهزومة فى البر أن تحول هزيمتها إلى نصر عن طريق البحر !

وتحدث الكتاب عن ظروف كل معركة من حيث الأسباب التى أدت إلى وقوعها ، والتكتيكات التى استخدمت فيها ، والنتائج النهائية التى وصلت إليها هذه المعارك .

إنها سلسلة من الأحداث التاريخية الدامية عبر عنها بأسلوب جذاب وفى تسلسل تاريخى من الأقدم إلى الأحدث تصل المعلومة إلى القارئ بشكل مريح .

نرجو أن يكون هذا الكتاب إضافة تاريخية للقارئ العزيز .

الناشر

قرش جنية  
٩٠٠٠

Bibliotheca Alexandrina



0411860